الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كليـــة العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم: التاريخ

بايلك الشرق الجزائري من خلال كتاب رحلة الى ايالة الجزائر للدكتور شاو

مذكّرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبة:

هاجر هروييني

إشراف الدكتور:

احمد جعفري

لجنة المناقشة

الرقم	اسم ولقب الأستاذ (ة)	الرتبة	الصفة
01	د/ محمد السعيد بوبكر	أستاذ محاضر أ	رئيسا
02	د/ احمد جعفري	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
03	د/ الشيخ لكحل	أستاذ التعليم العالي	مشرف مساعد
04	د/ محمد بوسعدة	أستاذ محاضر ب	مناقش

الموسم الجامعي:1446هـ/2024-2025م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كليـــة العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم: التاريخ

بايلك الشرق الجزائري من خلال كتاب رحلة الى ايالة الجزائر للدكتور شاو

مذكّرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبة:

هاجر هروييني

إشراف الدكتور:

احمد جعفري

لجنة المناقشة

الرقم	اسم ولقب الأستاذ (ة)	الرتبة	الصفة
01	د/محمد السعيد بوبكر	أستاذ محاضر أ	رئيسا
02	د/احمد جعفري	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
03	د/الشيخ لكحل	أستاذ التعليم العالي	مشرف مساعد
04	د/محمد بوسعدة	أستاذ محاضر ب	مناقش

الموسم الجامعي1446 هـــ/2024-2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: {وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}[سورة هود: الآية 88]

إهداء

تأتي الأحلام على طبق من تعب الى كل من أضاء بعلمه عقل غيره أو هدى بالجواب الصحيح حيرة سائليه إلى الأكرم منا جميعا شهداؤنا الأبرار إلى من يشق من أجله المهش وطني الغالي إلى الشهيد محمد الضيف وإسماعيل هنية إلى من كان ممتشقا سلاحه بين رجاله في العقد القتالية يحيى السنوار لك القرنفل ولنا بقية الشوك والطريق إلى الصامدين على الثغور إلى المدافعين عن شرف الأمة يامن أتعبتم من بعدكم إلى كلّ حرّ أبيّ، كارهٍ للذلّ، نابذٍ للاستعمار، رافضٍ للقيود، وفاءً لدماءٍ سالت من أجل الكرامة، وصوتٍ لا يزال يهتف بالحرية في وجه كل مستبدّ.

أما بعد إلى العزيز الذي حملت إسمه فخرا لأنك أبي أقف أمام الحياة وقفة عز الى سر مناضلتي واجتهادي وملهمتي إلى من لا أجد لها كلمات أمي، إلى من اوجدوا بنفسي الامنيات وساندوني في العقبات إلى العقد المتين إلى أوفى مستشارين وألطف ناصحين إلى من شد الله بهم عضدي اخوتي عزيزي صهيب وأوسط العقد المتين سفيان ورفيقي عبد الرزاق، إلى جدتي حبيبة روحي التي تقر عينها برؤيتي في يوم كهذا لولا دعواتك لما أكملت المسير تخرجت صغيرتك يا حبيبتي وإلى روح أجدادي رحمهم الله الى كل أفراد عائلتي الكريمة صغيرا وكبيرا الى كل أل هرويني كل بإسمه وجميل وسمه .

إلى جميلتاي تسنيم ورنيم إلى سيرين وماريا وأميمة وأنفال وعفاف ومروي وبشرى وسلمى وهاجر ونفيسة وطه وإسماعيل واسحاق والياس وأسيا وأسامة وخديجة وكوثر وعائشة ومريم والقائمة طويلة إلى كل من أحملهم في قلبي، إلى من كانوا رسلا بعثوا لإحياء العلم وانتشال الأمة من وحل الضياع هم أستاذتي من مرحلة المتوسط إلى الثانوي كل باسمه ومقامه إلى أستاذتي التي علمتني كيف أدون الحرف وأملأ الفراغ إلى من وثقت بي إلى أستاذي الذي خط لي يوما بورك فيك مما بورك في الزيت أكلا ودهنا وإنارة للبيت إلى كل أستاذة قسم التاريخ بجامعة غرداية ،إلى رفيقات الخطوة الأولى والخطوة ما قبل الأخيرة إلى من كانوا في السنوات العجاف غيثا أنا ممتنة، إلى كل طالب علم سعى بعلمه ليفيد الإسلام والمسلمين إلى كل من وسعهم قلبي و لم يسعهم قلمي.

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بلغني ما أحب فيما أحب الحمد لله الذي وفقنا لإتمام هذا العمل على الأصل نمشي وعلى الأصل نرد الفضل لأصحابه ونسند الشكر لمستحقيه أتقدم بالشكر الخاص والجزيل لأستاذي الفاضل المشرف السيد الأستاذ الدكتور أحمد جعفري على كل مجهوداته وتوجيهاته ونصائحه لي لإتمام هذا العمل طول فترة البحث كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى السيد المشرف المساعد الأستاذ الدكتور الشيخ لكحل والأستاذ بكار الدهمة والأستاذ جلول بن قومار وإلى كل أستاذتي بجامعة غرداية وأخص بالذكر السيد العميد الاستاذ الدكتور صالح بوساليم و الأستاذ الدكتور جمال الدين سهيل والأستاذة الدكتورة عائشة محمة والأستاذة الدكتورة رحيمة بيشي كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذتي في طور الليسانس الأستاذة الدكتورة فاطمة الزهراء حوتية وإلى إداريي قسم التاريخ وأخص بالذكر خديجة والسيد مدير متحف المجاهدين لبلدية متليلي الشعانبة جزاكم الله خيرا.

القسم العربي:

الرمز	الـــمعنـــى	الرمز	الـــمعنـــى
ق.م	قبل الميلاد	د.ت	دون تاريخ
م	ميلادي	د.ن	دون ناشر
هـــ	هجري	د.ط	دون طبعة
ج	جزء	مج	مجلد
ط	طبعة	ع	العدد
ص	صفحة	إد.	إعداد
ص ص	صفحات	تق	تقديم
د.م.ج	ديوان المطبوعات الجامعية	تح	تحقيق
تع	تعريب	تر	ترجمة

القسم الأجنبي:

بالفرنسية			
T.	**Tome**	**s.é.**	**sans éditeur**
éd.	**Edition**	**s.é.**	**sans édition**
p.	**Page**	**vol.**	**Volume**
pp.	**Pages**	**n°**	**Numéro**
s.d.	**sans date**	**Ibid.**	**Ibidem**
op. cit.	**opus citatum / déjà cité**	**s.é.**	**sans éditeur**

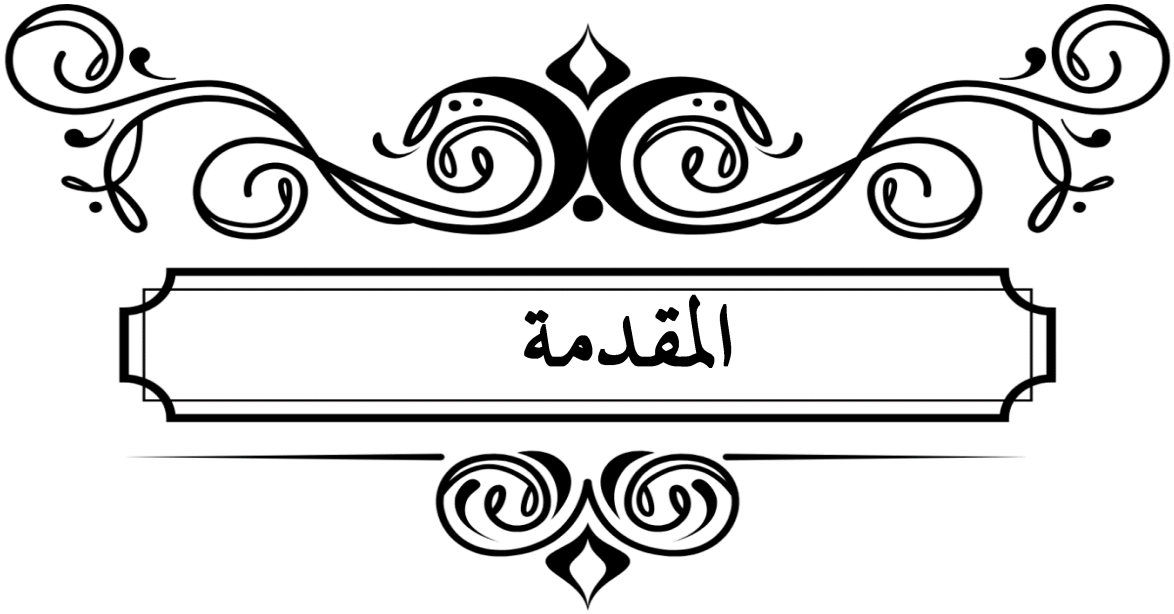
المقدمة

شهدت الجزائر خلال الفترة العثمانية اهتماما متزايدا من قبل الرحالة الأوروبيين الذين توافدوا إليها بدوافع متعددة، وقد خلف هؤلاء الرحالة شهادات وملاحظات قيمة حول مختلف الجوانب مما يجعل من هذه الرحلات ،مصدرا تاريخيا مهما يساعد الباحثين على إعادة تشكيل صورة الماضي من زوايا متعددة ،ومن بين الأقاليم التي جذبت اهتمام هؤلاء الرحالة بايلك الشرق الجزائري بكونه أحد الأقاليم التي جذبت اهتمام هؤلاء الرحالة مما جعل الفرنسي ليون جليبرت يقول عنه : "بايلك قسنطينة أشبه بمملكة حقيقية ويفوق في أهميته بايلك التيطري لأنه يتميز بعدد سكانه المرتفع وبمساحته الشاسعة، وثرواته الكثيرة وتربته الخصبة، ومناخه المعتدل في بعض المناطق الى غير ذلك من المميزات الجيدة".[1]

وفي هذا الإطار تأتي رحلة الدكتور شاو بعتبارها وثيقة مهمة تسجل مشاهداته خلال زيارته لشرق الجزائر حيث رصد العديد من ملامح هذا الاقليم وبهذا يمكن استثمارها في محاولة فهم تركيبة بايلك الشرق خلال القرن الثامن عشر وهذا عن طريق مقارنتها بمصادر محلية وأجنبية أخرى وفي دراستي هذه اعتمدت على النسخة الثانية وهي النسخة الفرنسية إضافة الى النسخة المترجمة للعربية وقد تم استبعاد النسخة الأولى من الرحلة بسبب صعوبة لغتها الإنجليزية القديمة وغير الواضحة، بالإضافة إلى كون بعض الكلمات غير مقروءة أو مشوشة، مما أعاق الفهم الدقيق للنص لهذا جاء موضوع دراستنا موسومة بـــ **"بـــايلك الشرق الجزائري من خلال كتاب رحلة الى ايالة الجزائر للدكتور شاو".**

1-حدود الدراسة :

ـالحد المكاني: ينحصر الحد المكاني لهذه الدراسة على مدينة قسنطينة عاصمة بايلك الشرق الواقعة في الشمال الشرقي من ايالة الجزائر وهذا لما تمثله من موقع استراتيجي جد هام بكونها تتوسط الايالة.

ـ الحد الزماني: فيمتد هذا الأخير بداية من التواجد العثماني في بايلك الشرق الجزائري حيث بدأت ملامح التنظيم الإداري والعسكري تتشكل الى غاية سنة**1123و1145هـ/ 1720و1732م** ويمثل

[1]_ Léon Galibert. **Histoire de l'Algérie ancienne et moderne**, paris, 1843, p46.

التاريخ الأول الزمن الذي زار فيه الدكتور شاو البايلك ودون خلاله مشاهداته التي تعد وثيقة تاريخية وصفية هامة تساعد على فهم معالم بايلك الشرق في القرن الثامن عشر بينما يشير التاريخ الثاني الى نهاية رحلة شاو بعدما أمضى اثني عشر عامًا.

- **2-أسباب اختيار الموضوع:**

وقد جاء اختيار هذا الموضوع استجابة لجملة من الاعتبارات منها ماهو شخصي ومنها ما هو علمي موضوعي:

ـذاتية: في مقدمتها اقتراح أستاذي الذي وجهني إلى أهمية دراسة الرحلات الأجنبية لما تقدمه من معلومات دقيقة قد لا تنتبه لها المصادر المحلية ضف الى، ذلك اهتمامي الشخصي ورغبتي في فهم واستجلاء صورة الجزائر خلال العهد العثماني بصفة عامة ونظرة هذه الأخيرة لبايلك الشرق على وجه الخصوص من قبل الرحالة الأوروبيين وهو أمر يكتسي أهمية خاصة في إطار تحليل صورة الغير عن المجتمع الجزائري وتمييز ومحص وغربلة ما هو صحيح وما هو مبالغ فيه لمعرفة مدى موضوعيتها من تحيزها لنتأكّد مما إذا كانت نظرتهم عادلة أم لا.

ـموضوعي:

ويضاف لهذا رغبتي في المساهمة في سد فراغ جزئي في الدراسات الجامعية من خلال تسليط الضوء على رحلة الدكتور شاو التي لم تحظ بالقدر الكافي من الدراسة رغم قيمتها التوثيقية خاصة وأنها تسجل مشاهدات ميدانية حول الحياة اليومية.

3-إشكالية الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تناول بايلك الشرق الجزائري من خلال ما ورد في رحلة الدكتور شاو، وهي رحلة تنتمي إلى أدب الرحلات الأجنبية التي تزخر بوصف مفصل عن الأقاليم الجزائرية خلال أواخر العهد العثماني. ومن هذا المنطلق، تُطرح الإشكالية الأساسية التالية :إلى أي مدى تُعدّ رحلة الدكتور شاو مصدراً موثوقًا لفهم ملامح بايلك الشرق الجزائري خلال القرن الثامن عشر؟ وما الأهمية التاريخية والاقتصادية والاجتماعية والجغرافية التي تضيفها هذه الرحلة؟

يندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية:

- ما هي الخصائص الجغرافية والطبيعية التي تميز بايلك الشرق الجزائري؟ وكيف أثرت في تشكيل بنيته الإدارية والاجتماعية؟
- ما أصل تسمية قسنطينة؟ وكيف تطورت هذه التسمية لاحقًا لتدل على إقليم بايلك الشرق خلال العهد العثماني؟ وكيف تطور وضعه السياسي والإداري؟
- ما طبيعة الروايات المختلفة حول سنة دخول العثمانيين إلى بايلك الشرق؟ وما خلفيات هذا التباين التاريخي؟
- ما دور بعض الأسر المحلية، كآل الفكون، في دعم أو رفض التواجد العثماني في المنطقة؟
- كيف كان التنظيم الإداري في بايلك الشرق خلال العهد العثماني؟ وما خصوصياته مقارنة بباقي الأقاليم الجزائرية؟
- من هو الدكتور شاو، وفي أي سياق جاءت رحلته إلى الجزائر؟ وما أهدافه من زيارتها؟
- كيف صوّر الدكتور شاو الحدود والتضاريس في بايلك الشرق؟ وما مدى دقة وصفه؟
- ما الذي كشفته الرحلة حول توزيع الحاميات العسكرية في الإقليم ودورها؟
- كيف رصد الدكتور شاو الواقع الزراعي والتجاري في بايلك الشرق؟ وما مدى موضوعية ملاحظاته؟
- كيف وصف القبائل والعلاقات الاجتماعية والدينية؟ وما الذي ورد عن الأضرحة في هذا السياق؟
- إلى أي مدى تتفق ملاحظات شاو مع ما ورد في مصادر أخرى محلية أو أجنبية؟
- ما مدى موضوعية الرحلة ككل؟ وهل يمكن اعتبارها مصدرًا موثوقًا أم أنها كانت محكومة بتصورات "الغير"؟

4-خطة البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع اتباع خطة منهجية تقوم على تقسيم البحث إلى ثلاثة فصول مترابطة، تغطي الجوانب الجغرافية، التاريخية، الاجتماعية والثقافية لبايلك الشرق الجزائري، مع التركيز على ما ورد حوله في رحلة الدكتور شاو.

لهذا فالفصل الأول جاء بعنوان :**الإطار الجغرافي والسياق التاريخي لبايلك الشرق**، وتم فيه التطرق إلى الموقع الجغرافي وأصول التسمية، مع عرض لأهم الحضارات التي تعاقبت على المنطقة، قبل الانتقال إلى السياق التاريخي للفترة الحديثة، حيث تم التوقف عند تاريخ دخول العثمانيين إليه، والمواقف المختلفة لسكان قسنطينة تجاه هذا الوجود، ثم ختم الفصل بدراسة التنظيم الإداري في بايلك الشرق خلال العهد العثماني.

أما الفصل الثاني خصص لدراسة **المضمون العام للرحلة**، من خلال التعريف بالرحالة وظروف الرحلة، وتحليل مضمونها، ومقارنتها ببعض الرحلات المعاصرة، مما يساعد على وضع الرحلة في إطارها التاريخي والنقدي.

وفي **الفصل الثالث** تناولت **بايلك الشرق كما صوّره الدكتور شاو**، حيث تطرقت إلى عدة جوانب: كالوصف الجغرافي (الحدود والتضاريس)، والبنية العسكرية (الحاميات)، ثم الأوضاع الاقتصادية (الزراعة والتجارة)، والاجتماعية (القبائل والأضرحة).

وقد اختُتم البحث بخاتمة تضمنت خلاصة عامة لأهم النتائج، المتوصَّل إليها، مع إبراز حدود الرحلة كمصدر تاريخي، وما كشفته من زوايا قد تكون مغفَلة في المصادر المحلية. تليها الملاحق التي دعمت الدراسة أُدرجت فيها جداول وصور وخرائط توضيحية ذات صلة بالرحلة وبالإقليم موضوع الدراسة ثم المصادر والمراجع اشتملت على المصادر الكتب، والمقالات والمذكرات وأخيرا فهرس المحتويات لكي يسهل على القارئ التنقل بين أجزاء البحث ومعرفة بنيته بدقة.

5-أهمية الدراسة وأهدافها:

_تكتسي هذه الدراسة أهمية كبيرة من خلال تناول بايلك الشرق الجزائري في العهد العثماني من خلال رحلة الدكتور شاو، الذي يعد من الرحالة الأجانب الذين دونوا بشيء من الدقة بعض تفاصيل الحياة في الجزائر العثمانية. كما يعكس هذا البحث محاولة لفهم رؤية "الغير" لهذه الحقبة التاريخية، وما تمثله من جوانب ثقافية، اجتماعية، واقتصادية، فضلاً عن تنظيم السلطة العثمانية في المنطقة.

ـتبيّن الدراسة أن الاهتمام بالجوانب الجغرافية والاجتماعية من خلال نصوص الرحلات، لا يقل أهمية عن دراسة الأحداث السياسية والعسكرية، لأنها تساعد في فهم بنية المجتمع المحلي وتفاعله مع السلطة.

ـوتتعمق أهمية هذا البحث من خلال ما قدمه الرحالة شاو من تحديد دقيق للحدود والتضاريس والمسالك الطبيعية لبايلك الشرق، مما يعزز فهم جغرافيا الإقليم ويؤكد أن للحدود والعوامل الجغرافية دوراً محورياً في تشكيل السياسات الإدارية والعسكرية في العهد العثماني.

- أهداف الدراسة:

ـتحليل مضمون رحلة الدكتور شاو في سياقها التاريخي والاجتماعي، بهدف تسليط الضوء على كيفية تصور الرحالة الغربيين لبايلك الشرق الجزائري خلال العهد العثماني.

ـدراسة التنظيم الإداري لبايلك الشرق الجزائري في فترة العهد العثماني، مع التركيز على الجوانب العسكرية والاجتماعية والاقتصادية، وذلك من خلال مقارنة ما ورد في رحلة شاو مع المصادر التاريخية.

ـمقارنة روايات الرحالة الأوروبيين حول الجزائر العثمانية مع الروايات المحلية، وذلك بهدف فهم كيفية تأثير التصورات الأوروبية على الفهم الغربي لواقع الجزائر.

ـتشجيع الطلبة والباحثين على العودة إلى نصوص الرحلات الأجنبية، لا باعتبارها مجرد وصف، بل كوثائق تاريخية تحمل تصورات وملاحظات ميدانية يمكن تحليلها نقدياً ومنهجياً.

ـالمساهمة في إثراء المكتبة الجامعية ببحث يتناول بايلك الشرق من خلال مصدر رحلي نادر، وهو ما يساهم في تعزيز الإنتاج المعرفي المحلي في مجال التاريخ العثماني للجزائر.

ـإبراز أهمية الدراسات الاجتماعية في فهم الواقع التاريخي، باعتبار أن الجوانب الاجتماعية (كالقبائل، الأضرحة، العادات...) تُعد مفتاحاً وحجر الأساس لفهم التوازنات السياسية والاقتصادية في العهد العثماني.

ـتسليط الضوء على دقة الرحالة شاو في وصف الحدود الطبيعية والسياسية لبايلك الشرق، مما يقدم مادة ثمينة دسمة يمكن مقارنتها بالمصادر المحلية أو الخرائط العثمانية.

ـــإبراز قيمة الرحلة كمصدر معرفي وثّق بدقة الوضع الجغرافي والعسكري والاقتصادي للمنطقة، ما يجعلها وثيقة مهمة لفهم طبيعة الحكم العثماني في الداخل الجزائري.

6-الدراسات السابقة: ان الدارس لهذا الموضوع يلاحظ قلّة الأعمال التي بحثت فيه بتركيز وتحليل كافيين إذا ما استثنينا بعض الدراسات التي تضمنت إشارات مقتضبة لهذه الرحلة أو الأشارة لهذه الرحلة في ظل رحلات أوروبية أخرى. فكل دراسة من هذه الدراسات تناولت جانبًا معيّنًا فقط من الموضوع، و لم تتطرق إليه بشكل كامل، كما أن كل واحدة منها ركزت على زاوية مختلفة منه نذكر منها:

صغير، سمية، وشفعاري، رشيدة، **المؤسسة العسكرية الجزائرية في القرن 18 من خلال رحلة الدكتور شاو(shaw)،** L'Algérie un siècle avant L'Occupation Française au (18ème siècle، مذكرة ماستر، تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة ابن خلدون تيارت، 2018.والتي ركزت على الجانب العسكري من الرحلة.

بالإضافة لمقال لحسان كشرود حول بايلك الشرق دراسة طبيعية وزراعية من خلال الرحالين بايسونيل ودي فونتين والدكتور توماس شاو والذي ركز فيه على الجانب الاقتصادي.

الى جانب ذلك مقال لعبد الحميد عمران حول قبائل الشرق الجزائري: قراءة في بعض العادات والذهنيات حسب الدكتور شاو من خلال كتابه رحلة في ايالة الجزائر والذي تناول فيه ملاحظات حول قبائل إقليم بايلك الشرق من حيث العادات والتقاليد والأولياء والذهنيات والعلوم والطب والألبسة والحرف والبناء والموسيقى.

7-المنهج المعتمد:

اعتمدت بشكل رئيسي على **المنهج التاريخي** في معالجة موضوع البحث، مستندةً إلى ما توفر من مصادر ومراجع تاريخية. كما استعنت بـــ**المنهج الوصفي** أولاً، حيث تمّ من خلاله عرض مختلف المعطيات المتعلقة ببايلك الشرق الجزائري، مثل الموقع الجغرافي وأصول التسمية والسياق التاريخي ودخول العثمانيين. ثم تمّ توظيف **المنهج التحليلي** في مرحلة ثانية، من أجل تفسير تلك المعطيات في سياقها التاريخي والاجتماعي بدقة، مع التركيز على تنظيم الإدارة وبنية الحكم في بايلك الشرق كما استخدم لاستعراض ملاحظات الدكتور شاو حول الحياة في بايلك الشرق، بدءًا من دوافع الرحلة،

مروراً بمحتوياتها ودراستها في سياقها النقدي و، في مرحلة لاحقة من الدراسة، وضفت المنهج التاريخي المقارن، من خلال مقارنة ما ورد في رحلة الدكتور شاو حول مختلف الجوانب الجغرافية والاجتماعية والعسكرية والاقتصادية مع ما توفر في المصادر التاريخية المحلية، وذلك بهدف إبراز أوجه التوافق أو التباين، وتوضيح كيف صور الرحالة الأجانب واقع بايلك الشرق في القرن الثامن عشر.

8-دراسة نقدية للمصادر والمراجع:

لقد تميزت هذه الدراسة بأرضية متنوعة من المصادر والمراجع والمقالات والمذكرات سواء بالغة العربية أو الأجنبية ولا يتسع المقام لذكرها ككل وسنكتفي بذكر أهمها:

أولا مع مصدر الدراسة والمتمثل في كتاب الدكتور شاو والذي جاء تحت عنوان:

DR. SHAW : **VOYAGE DANS LA RÉGENCE D'ALGER ,**Traduit par J. MAC CARTHY, PARIS, 1830.

والذي أفادني في تسليط الضوء على فترة مهمة من تاريخ الجزائر بصفة عامة وعلى وجه الخصوص تاريخ بايلك الشرق الجزائري الذي تتمحور حوله هذه الدراسة.

_ثم المصدر المعنون **بفريدة المنسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها** لكاتبه محمد الصالح العنتري والذي تطرق فيه الى بايلك قسنطينة وطريقة دخول العثمانين لهذا الأخير وأهم بايات قسنطينة وقد أفادني في العديد من جوانب البحث من أبرزها وصف تضاريس البايلك والدخول العثماني لقسنطينة.

_إضافة لكتاب أحمد مبارك ابن العطار **المعنون بتاريخ قسنطينة** والذي جاء ليحدثنا عن تاريخ قسنطينة عاصمة بايلك الشرق وقد أفادني كثيرا في تحديد أصل تسمية قسنطينة يضاف الى جانب مصدر أخر لا يقل أهمية عن سابقيه وهو كتاب **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية** لشيخ _عبد الكريم الفكون وهو كما أسلفت بالذكر مصدر جد مهم وثري كون صاحبه من أبرز علماء عصره وقد استفدت منه عند تطرقي لدخول العثماني لقسنطينة.

_نضيف لهذا كله كتاب أوجين فايست **تاريخ بايات قسنطينة** والذي يعد هو الأخر من المصادر المهمة في دراسات بايات قسنطينة ويحتوي على الأحداث التي شهدها البايلك أثناء حكم باياتها وقد قدم لنا معلومات مهمة حول بايات البايلك.

ـزد على ذلك كتاب **المـــرأة** لحمدان بن عثمان خوجة والذي يعتبر من المصادر المهمة التي أرخت للواقع الاجتماعي للجزائر أواخر العهد العثماني فقد كان لهذا المصدر أثرا واضحا في اثراء الدراسة بخصوص القبائل المحلية وطريقة تخزين الحبوب.

ـكما تم الاعتماد على العديد من الأعمال الأوروبية نذكر منها كتاب فندلين شلوصر **قسنطينة أيام أحمد باي 1832_1837** وقد أمدني بمادة خبرية أفادتني في تقديم صورة عن بايلك الشرق وموقعه يضاف له رحلة **الألماني هابنسترايت** الذي زار الايالات المغاربية الجزائر تونس وطرابلس ودون ملاحظاته التي اتسمت بالدقة حول عادات وتقاليد أهل مدينة الجزائر ووصف الطبقات الاجتماعية ووصف المساجد والعمران وقد عدت اليه في الفصل الثاني من هذه المذكرة.

ـإضافة لكتاب الفرنسي دوبارادي الموسوم بـــ:

Jeans Michel Venture De Par-adis**, Alger au XVIIIe siècle**, Edité par E. Fagnan, Alger, 1898

والذي يعد من أبرز المصادر كونه يحتوي على معلومات قيمة وهامة تمس مختلف النواحي السياسية والاجتماعية والدينية وبشكل خاص الاقتصادية ولقد ساعدني في التعرف على انتاج الزراعي

لقسنطينة زد عليه كتاب مواطنيه الفرنسيين بايسونال وديفونتين:

Peyssonnel, et, Desfontaines, **Relation d'un voyage dans les Régences de Tunis et d'Alger Gide**, Paris 1838.

واللذين زارا الجزائر في القرن 17 وكان معاصرا لشاو فاستعملناه من خلال مقارنتهما بشاو في العديد من الجوانب.

ـأما بالنسبة للمراجع فهي عديدة ومتنوعة على غرار:

ـكتاب عبد العزيز فيلالي **مجمل تاريخ قسنطينة السياسي العمراني والاقتصادي** والذي ساعدني في التعريف بأعلام المدينة وكتاب عبد الحفيظ بورايو مدينة قسنطينة في أدب الرحلات والذي ساعدني هو الاخر في تحديد أصل تسميتها.

ـأيضا كتاب محمد المهدي بن علي شغيب **أم الحواضر في الماضي والحاضر أو تاريخ مدينة قسنطينة** الذي تناول تاريخ قسنطينة وركز فيه على مرحلة العثمانين من خلال سرد الأحداث والذي استقينا منه أصل التسمية.

_ويوجد كتاب جميلة **معاشي الأسر الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري** والذي أفادني جدا في تحديد مفهوم مصطلح بايلك وأيضا في تحديد مراحل الدخول العثماني للبايلك.

_إضافة إلى هذه المصادر والمراجع، استخدمت بعض المعاجم والمذكرات والمقالات للتعريف ببعض الشخصيات، وأسماء المدن، وبعض القبائل. و لم أذكرها كلها حتى لا يطول المقام، فاكتفيت بما ذكرت للتنبيه فقط. رأيت أنه من المهم الإشارة إليها، وتجدونها في الجزء لمخصص لها من هذا البحث.

_أما بالنسبة للمراجع الفرنسية فقد استفدنا من كتاب:

Denis Brahimi, **Opinions et regardes des européens sur le Maghreb aux XVI ème et XVII ème siècle**, SNED, Alger, 1978, لمؤلفه دونيس ابراهيمي وقد أفادني أيما افادة عندما تطرقت لأسلوب ودقة شاو في تدوين ملاحظاته بالتحديد في الفصل الثاني من هذه المذكرة.

9-الصعوبـــات:

_تمثلت أولى الصعوبات التي واجهتني في ترجمة النصوص المتعلقة بالموضوع، حيث أن العمل يعتمد على مصدر أوروبي، مما فرض عليّ مواجهة تحديات لغوية كبيرة. فقد تطلبت عملية الترجمة دقة وحرصًا بالغين لضمان الحفاظ على المعنى الدقيق للنصوص من دون تحريف السياق أو تأويله بشكل غير دقيق وللأمانة فقد استعنت بالنسخة المترجمة لغة العربية لكن مقتضيات البحث تتطلب مني الرجوع للنسخة الفرنسية.

_أما الصعوبة الثانية فقد تمثلت في التعامل مع المصادر، حيث اعتمدت بشكل أساسي على مصدر أجنبي، وهو ما يتطلب توخي الحذر في التعامل معه بسبب ما قد تحتويه بعض الكتابات الأوروبية _من نظرات استعلائية تجاه المجتمعات المغاربية. هذه النظرة قد تؤثر في طريقة تصوير الواقع المحلي، مما استدعى مني التزام قراءة نقدية ومقارنة هذا المصدر مع المصادر التاريخية المحلية والأجنبية الأخرى لإعطاء صورة أكثر دقة وموضوعية ومراجعة متأنية لتفادي الانزلاقات في الفهم أو التأويل.

_كما واجهت هذه الدراسة بعض من الصعوبات المنهجية والمادية، كان من أبرزها اتساع الإطار الزمني للموضوع وتشعّبه، مما تطلّب العودة إلى مصادر متعددة ومتفاوتة من حيث القيمة

العلمية. ويُضاف إلى ذلك تباين الروايات التاريخية حول بعض المحطات المهمة، لاسيما ما يتعلق بتاريخ دخول العثمانيين إلى قسنطينة، ما استدعى بذل جهد إضافي في التمحيص والمقارنة بين المصادر للوصول إلى تصور أقرب للدقة والموضوعية.

ـ كما برزت صعوبة أخرى تمثلت في قلة الدراسات الحديثة التي تناولت الرحلات الأجنبية كمصدر لدراسة التاريخ الاجتماعي لبايلك الشرق، وهو ما قلّل من الإطار النظري الداعم للبحث.

ـ ويُضاف إلى ما سبق تشتت المعلومات الجغرافية والتاريخية بين فصول ومباحث متعددة في المصادر المعتمدة، مما فرض جهداً إضافياً في الترتيب والتحليل لتقديم صورة متماسكة ومتكاملة عن بايلك الشرق في العهد العثماني.

10ـ التغلب على الصعوبات:

أخيرا والحمد لله، استطعت بتوفيق من الله أن أتغلب على الصعوبات من خلال:

عدة مساعدات ففيما يخص الترجمة، اعتمدت على أهلي وخاصة والدي الذي ساعدني كثيرًا، كما أن النسخة المترجمة للعربية التي قدّمها لي أستاذي ساعدتني كثيرًا وسهّلت عليّ الفهم. الصعوبة الثانية كانت في كيفية التعامل مع المصادر، وتجاوزتها بفضل إرشادات أساتذتي طوال سنوات الدراسة، خاصة نصائح أستاذي المشرف منذ السنة الأولى ماستر وأستاذتي عائشة محمة التي كانت تخصص حصص لدراسة النصوص وقراءتها وتحليل مضامينها، وأيضًا الأستاذ جمال الدين سهيل الذي علمني كيف أتعامل مع المصادر. أما عن اتساع الموضوع وتشعبه، فخصصت له وقتًا إضافيًا، واطلعت على مصادر كثيرة تخص التاريخ الحديث وتاريخ بايلك الشرق، كما زرت متحف المجاهدين بمتليلي مع زميلاتي واستقينا منه بعض الكتب، كما استفدت من الكتب التي قدّمها لي عميد الكلية. أما بالنسبة لقلة الدراسات التي تناولت الرحلات الأجنبية كمصدر، تغلبت عليها بفضل الكتب التي وفرها لي أستاذي المشرف. وأخيرًا، مشكلة تشتت المعلومات الجغرافية والتاريخية تجاوزتها بتخصيص وقت إضافي والعمل عليها بدقة.

ـ تبقى هذه الدراسة محاولة متواضعة للإسهام في إغناء البحث التاريخي حول بايلك الشرق الجزائري في الفترة العثمانية، من خلال الاستفادة من نصوص الرحالة الأجانب وما حملته من معطيات

مهمّة ذات طابع جغرافي واجتماعي وسياسي وفي الأخير يسر الله لنا اخراج هذا البحث بهذه الصورة المتواضعة مع الأمل فيأن يكون مقدمة لما سيأتي بعده.

وإنه لمن دواعي الامتنان أن أتقدّم بخالص الشكر والتقدير إلى أستاذي المشرف الدكتور أحمد جعفري، على ما تفضّل به من توجيهات علمية دقيقة وملاحظات بنّاءة كانت دليلي في مختلف مراحل إعداد هذا العمل. كما أتوجه بخالص الشكر والعرفان إلى الأستاذ الدكتور سهيل جمال الدين، الذي لم يبخل عليّ بالدعم العلمي والنصيحة، فكان حضوره وملاحظاته إضافة حقيقية لمسار البحث.

ولا يفوتني أن أرفع أسمى عبارات الشكر والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة الأفاضل، على تفضّلهم بقراءة هذا العمل ومناقشته، راجيًا أن أكون قد وفقت في تقديم مادة علمية تليق باهتمامهم.

كما أخصّ بالشكر السيد عميد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، لما يوليه من عناية خاصة بالبحث العلمي وتشجيعه المستمر للطلبة الباحثين.

وفي هذا المقام، أتوجّه بوافر التقدير والامتنان إلى كل أساتذة قسم التاريخ، كلٌّ باسمه وجميل وسْمه، على ما قدّموه من علم وتوجيه خلال سنوات الدراسة، فكان لهم فضل كبير في تكويني العلمي والمنهجي. ومنهم على سبيل الذكر لا الحصر :الأستاذة الدكتورة فاطمة الزهراء حوتية، والأستاذ الدكتور جمال الدين سهيل، والأستاذة عائشة محمة، وغيرهم من الأساتذة الأفاضل الذين لا يسعني المقام لحصرهم جميعًا، فلكم مني جميعًا كل الاحترام والعرفان.

غرداية في: 17 ذو القعدة 1446 هـ

الموافق لـ:15ماي 2025م

الطالبة: هاجر هرويني

الفصل الأول: الإطار الجغرافي والسياق التاريخي لبايلك الشرق

المبحث الأول: الموقع وأصول التسمية

المبحث الثاني: السياق التاريخي في الفترة الحديثة

المبحث الثالث: التنظيم الإداري لبايلك الشرق في العهد العثماني

يُعدّ بايلك الشرق واحدًا من أهم الأقاليم التي ظهرت في الجزائر خلال الفترة العثمانية، نظرًا لموقعه الجغرافي البارز، ولأدواره السياسية والاقتصادية والعسكرية. ومن أجل فهم طبيعة هذا الإقليم والتعرف عليه بشكل أفضل، كان لا بد من الرجوع إلى السياق التاريخي الذي تشكّل فيه، والتوقف عند أبرز المراحل التي مرّ بها قبل الحكم العثماني وأثناءه. كما تم التطرق إلى أصل التسمية، ومجاله الجغرافي، ونظامه الإداري. وتبقى مدينة قسنطينة محور هذا الإقليم وعاصمته، وهو ما جعلنا نخصّها بجزء من هذا الفصل، لعرض أسمائها كما وردت في المصادر العربية والغربية، وتتبع تطورها عبر مختلف الفترات.

المبحث الأول: الموقع وأصول التسمية

1_الموقع والنشأة:

عرفت منطقة بايلك الشرق الجزائري تطورات تاريخية وجغرافية بارزة قبل وصول العثمانيين، ويعود ذلك لتتمتعها بموقع استراتيجي جعلها مركزًا لتفاعل الحضارات عبر العصور، من الفترة القديمة، مرورًا بالوسيطة، وصولًا إلى العهد العثماني.

فمصطلح "بايلك الشرق" لم يكن معروفًا إلا في العهد العثماني، ويُستخدم هنا للإشارة إلى الإطار الجغرافي للمنطقة بشكل عام وليس لمدينة قسنطينة فقط، حفاظًا على اتساق المصطلحات في البحث. بالاستناد إلى مصادر ومراجع متخصصة من بينها كتاب (جميلة معاشي) "الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري."

أ_الموقع:

بايلك الشرق أحد الأقاليم الإدارية الكبرى في الجزائر العثمانية، وامتد على مساحة واسعة من شرق الجزائر الحالية. كانت عاصمته مدينة قسنطينة، التي شكلت مركز الحكم والإدارة.

أما بالنسبة لحدوده الجغرافية فهي كالتالي: شمالًا: البحر الأبيض المتوسط. جنوبًا: امتد إلى ما وراء بسكرة[1]، ووادي سوف[2]، ووصل إلى حوض ريغ وورقلة[3]. شرقًا: الحدود مع تونس. غربًا: امتد حتى إقليم البويرة وسفوح جبال جرجرة[4].

2_بايلك الشرق من خلال المصادر التاريخية:

أ-من خلال المصادر الأجنبية:

تعد مدينة قسنطينة واحدة من أبرز المدن التي جذبت انتباه الرحالة الأوروبيين والعرب، نظرًا لموقعها الجغرافي الفريد وتحصيناتها الطبيعية التي جعلتها مدينة يصعب اختراقها. ففلنرلنين شلوصر وصفها بأنها مدينة مشيدة على تضاريس وعرة، تحيط بها منحدرات صخرية، ويخترقها "الوادي الكبير "بعمق 150 متراً[5]، كما أشار إلى أبوابها الرئيسية مثل باب القنطرة[6]، باب الرحبة، باب

---

[1]- اختلفت الآراء حول أصل تسمية **بسكرة**، إذ يُرجّح أنها مشتقة من الكلمة الرومانية **"فسيرة"**، التي تعني الموقع التجاري، أو من **"بيسينام "**نسبة إلى الحمامات المعدنية ينظر: عبد القادر بومعزة، بسكرة **في عيون الرحالة الغربيين**، ط1، ج 1، دار علي بن زيد ،ط ون، الجزائر 2016، ص27، 28.

[2]-أما **وادي سوف**، فاسمه مركب يشير إلى المياه التي كانت تتدفق شمال شرق المنطقة، بينما يُنسب "سوف" إلى نهر قديم يُعرف بـــ **"واد زوف"**، الذي اختفى في أعماق الأرض.ينظر: موسى بن موسى، **الحركة الإصلاحية في وادي سوف نشأتها وتطورها 1900-1939م**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجيستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2005/2006، ص 15.

[3] _في حين أن **ورقلة**، وهي مدينة نوميدية قديمة، عُرفت بعدة تسميات مثل **"ورجلان"**، وترتبط تسميتها بأسطورة محلية عن القضاء على أسد كان يهدد المنطقة.ينظرأحمد ذكار: **حاضرة وارجلان وعلاقاتها التجارية بالسودان الغربي 1591-1883م**، مذكرة تخرج لنيل الماجستير، قسم التاريخ، جامعة أدرار 2010/2009م، ص 8.

[4] محمد الهادي لعروق،**مدينة قسنطينة _دراسة في جغرافية العمران،د** م ج، الجزائر،1984،ص14.

[5]_فندلين شلوصر: **قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837م**، تر وتق: ابو العيد دودو، ط1، الجزائر، 2007م، 73.

[6]_باب القنطرة: يربط المدينة بالضفة الجنوبية لوادي الرمل وحي المنصورة، ما جعله ممرًا استراتيجيًا للتنقل والتجارة، ينظر: عبد العزيز فيلالي، **مدينة قسنطينة تاريخ -معالم -حضارة**، دار الهدى، ب ط، عين مليلة -الجزائر، 2007م، ص 175.

الجابية[1]، وباب الوسط.[2] أما القبطان هيبوليت، فركّز على موقعها الطوبوغرافي، حيث تمتد عند سفوح جبل المنصورة، الذي يخترقه وادي الرمال، المغذى بروافد مثل وادي بومرزوق، مما يعكس أهمية الموارد المائية للمدينة تشمل التضاريس البارزة نتوءات صخرية استراتيجية، مثل ضريح سيدي المبروك وضريح سيدي مسيد، بالإضافة إلى مرتفعات كدية عاتي التي تمنح المدينة موقعًا دفاعيًا قويًا[3].

[1]_باب الجابية: يُفضي إلى منبع سيدي راشد، ويعدّ من المداخل الهامة للمدينة، ينظر: عبد العزيز فيلالي: **مدينة قسنطينة تاريخ -معالم -حضارة،** المرجع السابق، ص 175.

[2]_ باب الوادي: كان يقع في الموقع الذي يشغله حاليًا قصر العدالة، وكان يؤدي إلى منطقة الكودية. عبد العزيز فيلالي، نفسه، ص175.

[3]_ ناصر الدين سعيدوني، "وصف مدينة قسنطينة حسب معلومات جديدة للقبطان هيبوليت"، الضابط بهيئة أركان الحرب الفرنسية بتاريخ شهر مارس 1832"، مجلة الأصالة رقم58-59، 1 جوان1978، ص3.

ب. المصادر العربية:

وصفها البكري بأنها مدينة حصينة محاطة بثلاثة أنهار[1]، بينما رسم الإدريسي صورة دقيقة لموقعها، مشيراً إلى واديها العميق وأسوارها المنخفضة باستثناء الجهة الغربية، حيث تقع **قنطرة رومانية** مكونة من خمس قناطر[2]، أكد المؤرخون العرب مثل صاحب الروض المعطار، مكانة قسنطينة كواحدة من أهم مدن إفريقية،[3] كما أكدوا على أن وادي الرمال كان مصدراً رئيسيًا للمياه، والأخاديد المحيطة بها كانت توفر تحصينات طبيعية قوية[4]. تحيط بالمدينة أسوار منيعة، وتتميز بتضاريسها الوعرة، مما جعلها حصنًا طبيعيًا منيعًا لا يمكن الوصول إليه إلا عبر ممرات ضيقة ومتعرجة .بفضل هذا الاتساع الجغرافي والتحصين، وصفها المؤرخون بـــالمملكة، مؤكدين أهميتها السياسية والاستراتيجية في المنطقة.[5]

3_ نشأتها وأهم الحضارات المتعاقبة عليها:

شهدت قسنطينة تعاقب حضارات عديدة جعلت منها مركزًا حضاريًا وثقافيًا ذا أهمية كبرى في شمال إفريقيا. وقد اختلفت الروايات حول نشأتها، غير أن مسارها التاريخي يظهر تطورا زمنيا يعكس تغيرات سياسية وثقافية.

أ _مع البدايات الأولى والتأسيس الكنعاني (حوالي 1450 ق.م)

---

[1]- البكري، أبو عبد الله، **المسالك والممالك،** تح، جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424 / 2002 م، ج 2، ص244.

[2] - أبو عبد الله محمد الشريف الإدريسي: **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق،** عالم الكتب، ط1، بيروت، 1989م، ص 266-265.

[3] -الحميري، محمد بن عبد المنعم، **الروض المعطار في هو الأقطار،** تح، إحسان عباس، مكتبة لبنان 480 بيروت، ط2، 1984، ص480.

[4]-الحسن بن الوزان، **وصف افريقيا**، الرياض، المملكة السعودية ،1399 هـــ، ص427.

[5]- عبد العزيز فيلالي، **مجمل تاريخ قسنطينة السياسي العمراني الثقافي والاقتصادي،** دار الهدى ،2017، ص181.

يرى بعض المؤرخين أن قسنطينة تعود في نشأتها إلى العصور القديمة جدًا، ويُعتقد أنها من تأسيس نفس الباني الذي شيّد مدينة قرطاجنة[1]، وذلك خلال عهد عاد، أي قبل زمن النبي إبراهيم عليه السلام، ما يربطها بأسطورة تعود إلى بدايات الحضارة البشرية في شمال إفريقيا[2].

وقد دعّمتها الأبحاث الأثرية الحديثة، مشيرة إلى أن المدينة كانت مأهولة منذ الألفية الثانية قبل الميلاد، و لم تُفتح عنوة في أي مرحلة من مراحلها القديمة، كما ورد في رواية ابن العطار[3]، ما يدل على استقرارها الحضاري الطويل.

ويُرجّح أن المدينة تأسست في حدود 1450ق.م على يد الكنعانيين الذين نزحوا من فلسطين حوالي 1300ق.م[4]، وقد عُثر في ضواحيها على عملات برونزية ونقوش ترمز إلى أبواب المدينة، ويُعتقد أنها تعود إلى هذه المرحلة التأسيسية[5]، ما يعزز الروايات المتعددة حول نشأتها العريقة.

ب_التأثير الفينيقي واسم "كرطة" (القرن التاسع ق.م)

[1]- قرطاجنة: هي مدينة اسمها "قرطا" وأضيف اليها "جنة" لطبيبها ونزهتها وحسنها، وهي بلد قديم من نواحي افريقية، كانت مدينة عظيمة شامخة البناء أسوارها من الرخام الأبيض ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان** تح: فريد عبد العزيز الجندي، دار صادر، ب ع ط، بيروت، دس ن، مج 4، ص 323.

[2] _عبد الحفيظ بورايو، **مدينة قسنطينة في أدب الرحلات**، دار مداد يوني فارسيتي براس الجزائر وزارة الثقافة،2013، ص101.

[3] _أحمد بن مبارك ابن العطار، **تاريخ بلد قسنطينة 1790-1870**، تح وتق: عبد الله الحمادي، دار الفائزة للطباعة والنشر قسنطينة 2001م، ص 96.

[4] _د. عبد العزيز فيلالي، **مجمل تاريخ قسنطينة السياسي العمراني الثقافي والاقتصادي**، المرجع السابق، ص14.

[5] _ عبد الحميد عمران، "نوميديا أثناء الاحتلال الروماني"، مجلة عصور الجديدة، العدد 10، جويلية 1434هـ / 2013م، ص 29.

في حوالي القرن التاسع قبل الميلاد، دخل الفينيقيون[1]، ملوك الشام القادمين من صور وكولونية، إلى شمال إفريقيا، ومنهم من استقر بمنطقة قسنطينة، حيث أطلقوا عليها اسم "كرطة" أو "كرثن"، بمعنى القلعة أو المدينة المحصنة[2].

ج _النوميديون ومدينة سيرتا (القرن الثالث ق.م): في القرون التالية، أصبحت المدينة مركزًا هامًا في مملكة نوميديا[3]، واتخذت اسم "سيرتا"[4]. وفي عهد الملك ماسينيسا (238–148 ق.م)، أصبحت سيرتا العاصمة السياسية لنوميديا، وسعى ماسينيسا إلى جعلها تضاهي قرطاجة في القوة والتنظيم[5].

[1] _الفينيقيون شعب سامي يعود أصلهم إلى كنعان، واستقروا في **فينيقيا** (الشام) منذ 3000ق.م .كانوا من أوائل الشعوب التي أنشأت **أساطيل بحرية**، ما ساهم في توسعهم التجاري والبحري. للمزيد، يُراجع: محمد علي ديور، المغرب العربي الكبير، ط. ب، ج 3، مؤسسة تاوالت الثقافية، المغرب، 2010م، ص 95-96.

[2] _عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي لعروق، **مدينة قسنطينة**، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة 1984، ص19.

[3] _أطلق الإغريق والرومان اسم **"نوميديون "**على سكان المنطقة، نسبة إلى **"نوميدار** ."وفقًا لـــهيرودوت، كانوا بدوًا رحّل يعتمدون على اللحوم والحليب، وقسّم المنطقة إلى **ثلاثة أجزاء** :الشمال حيث **المزارعون والرعاة**، ثم منطقة **الحيوانات المتوحشة**، وأخيرًا **الصحراء** في الجنوب: عبد الحميد عمران، "نوميديا أثناء الاحتلال الروماني"، المرجع السابق، ص 29.

[4] _**سيرتا** ورد ذكرها في المصادر التاريخية منذ القرن الثالث قبل الميلاد، حيث كانت **عاصمة للملك سيفاكس** بعد توحيد نوميديا، ثم أصبحت لاحقًا عاصمة للملك ماسينيسا وأحفاده حتى وقوعها تحت الاحتلال الروماني.لمزيد من التفاصيل، يُراجع : محمد الصغير غانم، **سيرتا النوميدية: النشأة والتطور، ج 3**، العلا للنشر والترجمة والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2015، ص11.

[5] _عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي لعروق، **مدينة قسنطينة**، المرجع السابق، ص ص18،19.

د_الاحتلال الروماني والدمار ثم إعادة الإعمار (القرن الأول ق.م –القرن الرابع م): في القرن الأول قبل الميلاد، وقعت سيرتا تحت سيطرة الرومان[1]، خاصة في عهد يوليوس قيصر[2]، وأصبحت مستعمرة رومانية. غير أنها تعرضت لاحقًا للدمار سنة 311م على يد القائد ماكساس[3]. لكن بعد فترة قصيرة، أعاد الإمبراطور قسطنطين الكبير بناء المدينة سنة 313م، بعد انتصاره في معاركه، وأطلق عليها اسم "قسنطينة" الذي لا يزال مستعملًا حتى اليوم ويعزز هذا الطرح أحمد توفيق المدني في كتابه الجزائر.

و_الغزو الوندالي (432م الى 534م) ثم السيطرة البيزنطية (من 467م 534م):

[1] _نشأ **الرومان** من قبائل هاجرت إلى **شبه الجزيرة الإيطالية** حوالي **1200ق.م**، وأسسوا **روما** عام **753ق.م** بقيادة **رومولوس** بعد مقتل أخيه **ريموس** .مرت روما بثلاث مراحل حكم :**الملكي، الجمهوري، والإمبراطوري**، وبلغت ذروتها قبل سقوطها عام **476م** بيد القبائل الجرمانية. ساهمت **اللغة اللاتينية** والقوانين الرومانية في تشكيل الحضارة الأوروبية ينظر أ.د عبيد نصر الدين، **الحضارة الرومانية الأداب والفنون والعمران، مقياس** تاريخ الحضارة الإنسانية، سنة أولى جدع مشترك، المحاضرة السادسة، د.س، ص1. للمزيد، يُراجع: محمود إبراهيم السعدي، **معالم تاريخ روما القديم**، ط. ب، دار الحصة الشرق، القاهرة، 1997م، ص 55.

[2] _وُلد **غايوس يوليوس قيصر 100ق.م** في روما لعائلة أرستقراطية، وبرز كقائد عسكري وسياسي شهير اشتهر بإصلاحاته السياسية وتوسعاته العسكرية، لكنه اغتيل في **مجلس الشيوخ عام 44 ق. م**. للمزيد ينظر بسام العسلي يوليوس قيصر المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1980، ص ص 32 -33 .وينظرسمير العيداني، "ملامح التاريخ المغاربي القديم من خلال المذكرات الشخصية ليوليوس قيصر في كتاب حرب افريقيا"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، م7، ع4، ماي2022، ص 11.

[3] _عبد الحفيظ بورايو، **مدينة قسنطينة في أدب الرحلات**، المرجع السابق، ص99.

في منتصف القرن الخامس الميلادي، استولى الوندال[1] القادمين من إسبانيا على المدينة، وبقيت تحت حكمهم من سنة 432م إلى 534م. ثم تمكن البيزنطيون[2]من استرجاعها وظلت تحت سلطتهم من467م الى غاية 534م[3].

كما تشير العديد من الدراسات وعمليات التنقيب الحديثة إلى أن قسنطينة كانت عاصمة لقبائل الماسيل[4]، التي استوطنت الإقليم الشرقي من الجزائر والغربي من تونس، واشتهرت بتربية المواشي وخدمة الأرض، نظرًا لخصوبة أراضيها وملاءمتها للزراعة[5].

[1] _عرف الوندال بأنهم قبيلة جرمانية غزت الإمبراطورية الرومانية في شمال إفريقيا وأوروبا بين القرنين الثالث والخامس الميلادي، حيث أسسوا مملكة استمرت نحو 100 عام قبل سقوطها عام 534م، واستخدم مصطلح "وندال" لاحقاً خلال الثورة الفرنسية لوصف أعمال التخريب، ليصبح مرادفًا للهمجية.يرجع الى: محمد حشلاف، ويزة آيت عمارة (2023) "تراجع الرومان واستيلاء الوندال على 495 إفريقيا (534-429م)"، المواقف، م 19، ع01، جوان 2023، ص509. يعتبر عام 323م بداية التاريخ البيزنطي بفضل تولي قسطنطين الكبير الحكم، حيث أصدر مرسوم ميلانو عام 313م الذي اعترف بالمسيحية، ودعا إلى أول مجمع مسكوني في نيقية عام 325م، وأسس مدينة القسطنطينية كعاصمة للإمبراطورية، مما يثبت أنه وضع الأسس الأولى للدولة البيزنطية الشرقية ينظر: جوزيف نسيم يوسف، معالم **التاريخ البيزنطي السياسي والحضاري**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، (1990م)، ص15ومحمد مرسي الشيخ، **تاريخ أوروبا العصور الوسطى**، مطبعة الجمهورية، اسكندرية، (1998م) ص49.

[3] _عبد الحفيظ بورايو، **مدينة قسنطينة في أدب الرحلات**، المرجع السابق، ص103.

[4] _الماسيل قبائل غامضة الأصل ظهرت تاريخيًا في القرن الرابع ق.م، وتمركزت بشرق الجزائر وشمال غرب تونس.لمزيد من التفاصيل، يُراجع: محمد الصغير غانم، **مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم**، دار الهدى، ط1، عين مليلة -الجزائر، 2010، ج 2، ص 134.

[5] _عبد الحفيظ بورايو، **مدينة قسنطينة في أدب الرحلات**، المرجع السابق، ص102.

هـــ_ومع الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، دخلها الإسلام خلال السنوات الأولى على يد كلٍّ من عقبة بن نافع[1] الذي حط قدميه في القيروان[2] ومن ثم انتقلت الفتوحات الى قسنطينة تحت قيادة أبي المهاجر دينار[3] سنة67هـــ / 679 م، ويذكر أن أهلها سلموها من دون قتال ومنذ ذلك الوقت أصبحت المدينة عاصمة الإقليم لاحقًا، ظلت قسنطينة تحت مظلة الدول الإسلامية المتعاقبة في المغرب الإسلامي، بدءًا من عهد الولاة [4].ثم تعاقبت عليها عدة كيانات حكم محلية وإقليمية، مما عزز مكانتها السياسية والثقافية وفي العهد الحفصي، أصبحت العاصمة الثانية بعد تونس[5]. حيث كانت قسنطينة

[1] _ينتمي إلى قبيلة قريش، وكان قريبًا لعمرو بن العاص، أحد مؤيدي معاوية بن أبي سفيان. ساهم في فتح مصر، حيث أرسل لفتح زويلة وغدامس. في سنة 46 هـــ، تولى قيادة جند أفريقيا وفتح مناطق في ليبيا، بما في ذلك قفصة وبناء القيروان، حتى عُزل من قبل مسلمة بن مخلد الأنصاري في سنة 51 هـــ.عبد الحميد حاجيات، "شخصية عقبة بن نافع الفهري"، بحث مقدم في الملتقى الأول لحركة الفتوح الإسلامية بالمغرب الإسلامي، المنعقد بولاية بسكرة في الفترة ما بين 24-28 أفريل 1985، ص2.

[2] _تقع مدينة القيروان في سهل محاط ببحار تونس وسوسة والمهدية وصفاقس وقابس، وتعتبر مركزًا بارزًا في الغرب الإسلامي حيث كانت الأكثر عمرانًا وثراءً وتجارةً، وتتكون من مدينتين: القيروان وصبرة. أ.د مبارك بوطارن، "القيروان بوصفها أول حاضرة إسلامية في بلاد المغرب ودورها في الإشعاع العلمي"، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، المجلد الثامن، العدد 10، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، ص9.

[3] _ أبو المهاجر دينار كان شخصية بارزة في فتح بلاد المغرب الإسلامي، حيث قاد الفتح في المغرب الأوسط، واسمه "دينار" يعكس عادة العرب في تسمية العبيد بأسماء الأشياء الثمينة كالنقود والجواهر.إلا أن هذا لا يمكن أن نعتبره معيارا حاسما نعتمد عليه فيما بعد في ترجيح كون الرجل مولى من موالي العتاقة، عبد القادر رحمون، د. حسينة عيادي، "أبو المهاجر دينار قبل تولي القيادة: معالم سيرة ذاتية، قراءة موسعة في الروايات العربية"، مجلة البحوث التاريخية، المجلد 8، العدد 2، ديسمبر 2024، ص 51.

[4] _عهد الولاة في المغرب الأوسط هو فترة من 67هـــ/679م إلى 184هـــ/800م حيث حكمت المنطقة تحت إدارة الولاة المعينين من قبل الدولة الأموية ثم العباسية بعد فتحها ينظر: محمد العروسي المطوي، **إفريقية والمغرب الإسلامي في العصر الوسيط**، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1986، ص 78.

[5] _عبد القادر دحدوح، "أسواق مدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية"، دراسات في أثار الوطن العربي 692.

تمثل الجزء الغربي من الدولة الحفصية[1]، التي امتدت عبر غرب المغرب الأدنى وشرق المغرب الأوسط وصولًا إلى ميناء دلس .[2]

كما يشيرالأمير محمد بن عبد القادر الجزائري[3]، في كتابه تحفة الزائر في تاريخ الجزائر أن قسنطينة تنتمي في أصلها إلى قبائل كتامة.

4_ أصل تسمية قسنطينة

تعددت الآراء حول أصل تسمية مدينة قسنطينة، إذ يُرجّح بعض الباحثين أن الاسم تطوّر من "قصر طينة"، وهو تركيب من كلمتي "قصر" و"طينة"، خضع لتحولات لغوية مع الزمن، حيث استُبدلت بعض الحروف لتأخذ المدينة اسمها الحالي. وقد أشار ابن قنفذ القسنطيني[4] في أرجوزته سراج المقات في علم الأوقات إلى هذا الأصل[5]، كما ورد الاسم ذاته في شعر ملحون ورسائل تعود للقرن 11هـ/17م، مثل رسالة الشيخ ابن قدور الى ابن الفكون[6]. كما أورد الشيخ صالح بن مهنا

---

[1] _ينسب الحفصيون إلى أبي حفص عمر واستقلوا عن دولة الموحدين بعد مبايعة أبو زكريا كأول سلطان لهم في 625 هـ/1228م، وازدهرت تونس وقسنطينة وبجاية خلال حكمهم، لكنهم ضعفت سلطتهم مع الزمن حتى دخلوا تحت حكم العثمانيين في 1574م.ينظر :**أبو عبد الله أحمد بن الشماع، الأدلة البيئية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح وتق: الطاهر بن محمد المعموري، ط1، الدار العربية للكتاب، 1984، ص 48-54.**

[2] _ **نفسه ص 48-54.**

[3] _كان **عبد القادر الجزائري(1808-1883)**قائدًا ومقاومًا بارزًا قاد الجهاد ضد **الاحتلال الفرنسي(1832-1847)**تميز **بتكتيكات الكر والفر**، مما أربك الفرنسيين وأطال أمد المقاومة، محققًا انتصارات كبيرة رغم قلة عدد قواته .ينظر: نزار أباظة، **الأمير عبد القادر الجزائري** المجاهد، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1994، ص 10. وللمزيد من الاطلاع ينظر: د.صادق دهماش، "الوحدة السياسية والعسكرية لدولة الأمير عبد القادر الجزائري"، كلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، جامعة المدية، ص 10.

[4] _أبو العباس أحمد بن علي الشهير بابن الخطيب وبابن قنفذ القسنطيني (740،810هـ) (1339،1407م) ولد بمدينة قسنطينة سنة(740هـ/1340م) ونشأ في بيت علم وفقه وأدب وزهد وتصوف توارث الخطابة في المسجد الجامع لعدة أجيال متعاقبة، للمزيد من الأطلاع ينظر: د. عبد العزيز فيلالي، **مجمل تاريخ قسنطينة السياسي العمراني الثقافي والاقتصادي**، المرجع السابق، ص154.

[5] _سليمان الصيد، **نفح الأزهار عما في قسنطينة من الأخبار**، المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد، الجزائر،1984، ص110.

[6] _هو محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون، المعروف بأبي عبد الله (نوبيض)، وُلد في قسنطينة في النصف الأول من القرن الحادي عشر هجري (القرن 17م). ينتمي إلى عائلة الفكون العريقة، التي تُنسب إلى قبيلة تميم العربية، بينما تشير

القسنطيني[1] رواية تقول إن الاسم منسوب إلى امرأة رومانية تُدعى طينة[2]. ووفقًا لما ذكره سليمان الصيد، فإن اسم "قصر طينة" كان لا يزال شائعًا خلال فترة الشيخ حركات بن عبد الرحمن بن باديس[3]، مفتي قسنطينة، وقد ورد الاسم نفسه في مخطوط فقهي يشير إلى زيارة الشيخ يحيى الشاوي[4] للمدينة سنة 1073هـ .في المقابل، يرى مؤرخون لا سيما الفرنسيون المؤيدون للرومان أن اسم قسنطينة يعود إلى الإمبراطور قسطنطين، الذي أعاد بناء المدينة بعد دمارها، وأطلق اسمه عليها في القرن الرابع الميلادي[5]، وهو ما تدعمه نقوش لاتينية وثّقها جورج دوبلي وبول فوكلار. قبل هذه

روايات أخرى إلى أصل العائلة بقرية فقونة في جبال الأوراس. للمزيد من الاطلاع ينظر: د. الدراجي بلخوص، "الصداق والشوار بالبايلك قسنطينة في القرنين (10-11هـ / 16-17م) من خلال نوازل ابن الفكون"، مجلة أفكار وآفاق، م11، ع1، السنة 2023، ص386.

[1] _ولد عام 1886م في مدينة القل، ونشأ في قسنطينة، حيث أصبح عالمًا بارزًا في الفكر السلفي ومصلحًا في أوائل القرن العشرين. درس في تقنس والأزهر الشريف، وعاد ليكون إمام الجامع الكبير ومدرسًا في الزاوي لأكثر من عقدين. وصفه ابن عمه مالك بن نبي بأنه كان له تأثير كبير على أهل قسنطينة كان من أوائل المصلحين الذين واجهوا الخرافات والبدع، مما أدى إلى مضايقته من قبل الاستعمار الفرنسي، الذي حاول نفيه وصادر مكتبته القيمة. ينظر: مالك ابن نبي، **شروط النهضة**، تر: عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، ط 1، الجزائر، 2013م، دار الوعي، ص 23.

[2] _عبدالحفيظ بورايو، **مدينة قسنطينة في أدب الرحلات**، المرجع السابق، ص99.

[3] _الشيخ المفتي بركات بن باديس دفين مسجد سيدي قمّوش بقسنطينة ينظر: ص. رضوان، "سيدي قموش. مسجد آل ابن باديس ومنطلق دروس الإصلاح"، موقع الشيخ عبد الحميد بن باديس، نُشر بتاريخ 18 أفريل 2020، تم الاطلاع عليه بتاريخ 19فيفري 2025، الساعة 20:45، على الرابط التالي:
https://binbadis.net/archives.

[4] _أبو زكريا يحيى بن محمد بن عبد الله النائلي هو شخصية بارزة من الجزائر، ينتمي لقبيلة أولاد نائل. يُعرف بلقب "النائلي" كمؤشر لموطنه.كان فقيهاً مالكياً ومتخصصاً في علوم النحو والكلام، وبرز في النظم، مما جعله من الأعلام العلمية في عصره. أسهم بشكل واضح في الفكر الإسلامي وثرى العلوم الشرعية واللغوية بأسلوبه العميق. وُلِد في القرن السابع عشر الميلادي، وتحديداً في عام 1030هـ / 1621م، وفقاً لبعض الباحثين. وُلد في مدينة ملیانة، لكن بعض المؤرخين لم يحددوا سنة ميلاده بدقة، حيث اكتفى بعضهم بتوثيق سنة وفاته فقط.ينظر: أحلام بينور، ومريم بن رمضان، **منهج أبي زكريا يحي الشاوي الجزائري في كتاب ارتقاء السيادة في علم أصول النحو** -دراسة وصفية تحليلية (رسالة ماجستير، جامعة غرداية، 2020)، ص14،15. ينظر: احمد قرود، "الدور الثقافي للشيخ أبو زكريا يحي الشاوي النائلي في الجزائر والمشرق العربي (1074-1096هـ / 1663-1684م)"، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، م7، ع 2، ديسمبر 2016، جامعة زيان عاشور الجلفة.

[5] _كمال غربي، **المساجد والزوايا في قسنطينة الاثرية**، د.ط، تلمسان 2011م، ص 53-54.

التحولات، كانت المدينة تُعرف في العصور القديمة باسم سيرتا، وكانت عاصمة مملكة نوميديا ومركزًا هامًا للملوك النوميديين مثل ماسينيسا[1]، كما ورد في دائرة المعارف الإسلامية. وقد حافظت المدينة على اسمها الجديد "قسنطينة" بعد العهد الروماني، لتُعرف لاحقًا أيضًا بتسميات مثل "قسنطينة الهواء" في كتابات ياقوت الحموي[2]، و"بلدة الهواء" في رسالة سيدي عمر الوزان[3]، وكلها تعكس مكانتها وموقعها الاستراتيجي الحصين وهو ما أكّده حمودة باي[4] في قوله لوزيره الكاهية[5] سليمان

[1] _ (237 ق.م – 148 ق.م) كان ملكًا لنوميديا، عاصمتاه صاعا وقرطة، واشتهر بتحالفه مع الرومان ضد قرطاجة، خاصة خلال الحرب البونيقية الثانية ومعركة زامة، وتولى الحكم بعد وفاة والده في 206 ق.م. واستمر حتى وفاته في 148 ق.م.لمزيد من التفاصيل، يُراجع :**محمد بن إبراهيم جندلي البربر والعرب وما بينهما من صلة ومداخل في تاريخ المغرب، دار المعارف، الجزائر، 2012م، ج 1، ص**101.

[2] _ياقوت الحموي، **معجم البلدان،** دار صادر، بيروت، 1995، ط 2، مج 4، ص349.

[3] _محمد المهدي بن علي شغيب، **ام الحواضر في الماضي والحاضر**، مطبعة البعث، قسنطينة 1980، ص 10.

[4] _بن علي بن حسين التركي في 8 ديسمبر 1759م، وكان والده قد تزوج والدته، محبوبة، خلال إقامته في الجزائر قبل أن ينتقل إلى تونس.ينظر: حدة بن خليفة وفتيحة بن ثامر، **سياسة حمودة باشا الداخلية في تونس (1782-1814م)**، مذكرة ماستر (جامعة غرداية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، 2020)، إش،ربيعة قريزة، ص27-31. عقب وفاة والده في 31 مايو 1782م، بويع حمودة باشا من قبل وزراء والده وفقًا لوصيته، التي أكدت على أهمية الحفاظ على العلاقات الودية مع إيالة الجزائر وتوزيع العشر والخراج. في عام 1807م، أعلن حمودة باشا الحرب وأرسل جيشه لمحاصرة مدينة قسنطينة لمدة شهر، مما أدى إلى أضرار جسيمة، وقد وثق بعض أهالي قسنطينة تلك الأحداث في أبيات شعرية.جاء فيها:

حتى التوانسة جاونا محاربين
خرج محلة حمودة ذاك اللعين
قومان والعساكر مثل الجراد ياريم
وأرسل خليفة هاذوك الأزفات
سليمان كاهية والجوانب تزداد.

ينظر: محمدي، رزيقة. "العلاقات التونسية المغاربية في عهد حمودة باشا (1782-1814م)." مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع20، د.س.ن، ص5.ينظر: أحمد الشريف الزهار، **مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر**، تح، احمد توفيق المدني الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1974م، ص 85.

[5] _كاهية: أو كخيا من لفظ كتحدا الفارسية، وتعني صاحب البيت أو ربه أو القيم على القرية، حيث يتولى الكاهية حفظ أمن المدينة، بمثابة القائد الأعلى للشرطة المدنية، ينظر حسن خلاق، عباس مباع، **المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية**، دار العالم للعالمين، ط1، بيروت، 1999، ص174.

[1]عند محاولة اقتحام المدينة: "اذكروا يا أهالي قسنطينة ذكرى أسلافكم الذين شيدوا المدينة على قمة ممتنعة، في كل المناطق تحوم الغربان فوق رؤوس الناس، وتحلقون هنا فوق الغربان"[2]. هذا الموقع المرتفع، الذي لا يُمكن الوصول إليه إلا من جهة واحدة (الواجهة الشمالية الغربية)، جعل منها حصنًا طبيعيًا. وقد شُبّه تصميمها بشكل رصيف مرتفع، وهو نفس الأسلوب الدفاعي الذي اعتمده أبو عبد الله الشيعي[3] في تأسيسه لمدينة المهدية [4]بتونس، لكن مع إحاطة بالماء بدلاً من الفراغ الهوائي[5].

وقد اقتصر تعريف لاروس العالمي للمدينة على: " Cirta anc. cap. de Numidie, auj. Constantine" أي "سيرتا، العاصمة القديمة لنوميديا، وهي اليوم قسنطينة"، ما يبرز قِدمها ومكانتها[6]. خلال العهد الحفصي، كانت تُعرف باسم بلاد الغرب، كما ظهرت تسمية مملكتي

---

[3]–أصله من بلاد الفرنج، نشأ في خدمة البلاد ولازمه ملازمة الظل وتدرج في الخدمة إلى أن أصبح آغا، توفي في ديسمبر 1838م، ودفن بالقرب من التربة الحسينية، الأحمد بن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ت: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية 11 للكتاب، تونس، 1999، مج 2، ج 3، ص39،40.

[1] –أصله من بلاد الفرنج، نشأ في خدمة البلاد ولازمه ملازمة الظل وتدرج في الخدمة إلى أن أصبح آغا، توفي في ديسمبر 1838م، ودفن بالقرب من التربة الحسينية، الأحمد بن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ت: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية 11 للكتاب، تونس، 1999، مج 2، ج 3، ص39،40.

[2]– ينظر بدر الدين شعباني "مدينة قسنطينة في العهد العثماني –الأصالة والتراث"، مجلة دراسات، م7، ع1، 2020، ص81.

[3] – أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بالشيعي هو داعية فاطمي بارز، لعب دورًا مهمًا في نشر المذهب الإسماعيلي في المغرب، وُصف بالذكاء والخبرة، وتباينت الآراء حول أصله بين صنعاء والبصرة، حيث أسهم بشكل كبير في الدعوة الفاطمية وإقامة دولتهم في المغرب. ينظر: بقار وردة، **أبو عبد الله الشيعي ودوره في قيام الدولة الفاطمية في المغرب الإسلامي (280هـ –298هـ / 893م –910م)** .مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، إشراف معاد عمراني، جامعة الوادي، 2010-2011، ص8.

[4] – أسس مدينة المهدية على ساحل البحر لما وجد موقعًا أكثر تحصينًا، إذ تحيط بها المياه من ثلاث جهات وتتصل بالبر عبر ممر ضيق، وكانت لها أهمية تاريخية كأحد المراسي التجارية الفينيقية والرومانية. ينظر: الجوير، أبريس عبد الي حامد، وخليفة خليفة يوسف، وياسمينة محمد حسين. "تأسيس مدينة المهدية: دراسة في النشأة التاريخية والعناصر المعمارية." المجلة الليبية العالمية، ع66، (ديسمبر 2022)، ص7.

[5] – بدر الدين شعباني "مدينة قسنطينة في العهد العثماني –الأصالة والتراث"، المرجع السابق، ص81.

[6] _عبد الحفيظ بورايو، **مدينة قسنطينة في أدب الرحلات**، المرجع السابق، ص100.

قسنطينة وبجاية[1]. أما في المصادر المغربية، فورد اسمها بصيغة "قسم-طينة"، إلى جانب تسميات أخرى مثل "حصن طينة" و"الحصن الإفريقي"، وكلها تعكس طابعها الحصين وشبكة أسوارها وقلاعها الدفاعية[2].

[1] ــ ابن قنفذ (أبو العباس احمد)، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**،تح: الشاذلي النيفر وعبد المجيد التربكي، الدار التونسية لنشر،تونس،1968،ص139.

[2] ــسليمان الصيد، **نفح الأزهار عما في قسنطينة من الأخبار، المرجع السابق**، ص13.

المبحث الثاني: السياق التاريخي في الفترة الحديثة

1_تاريخ دخول العثمانيين إلى بايلك الشرق:

يعد تحديد التاريخ الفعلي لدخول العثمانيين[1] إلى مدينة قسنطينة موضوعًا مثيرًا للجدل بين الباحثين والمؤرخين، حيث تباينت الآراء حول هذا الحدث التاريخي. فقد اعتبر فايسات (Vayssettes)[23]أن دخول العثمانيين إلى المدينة حدث عام 1517م، بينما أرجعه المؤرخ الفرنسي ميرسيه (Mercier) إلى الفترة الممتدة بين عامي 1519م و1522م. في المقابل، حدد دافيتي (Davet)[4] سنة 1522م كتاريخ لهذا الحدث، بينما رأى الأنبيري[5] أن العثمانيين دخلوا المدينة عام 932هـ/ 1526 م وهذا ما ذكره في كتابه علاج السفينة في بحر قسنطينة، وهو نفس تاريخ وفاة أمير تونس أبي عبد الله محمد، وربما استند في ذلك إلى رواية ابن أبي دينار. [6]

من جهته، قدّم محمد الصالح العنتري تاريخًا مختلفًا، إذ جعله عام 1050هـ / 1640م، وهو تاريخ متأخر عن معظم التقديرات الأخرى. أما المؤرخ يحيى بوعزيز، فقد رجّح أن دخول العثمانيين إلى قسنطينة يعود إلى عام 1514م[7]. في حين أرجعه ابن أبي دينار إلى سنة 933هـ / 1536م، أي بعد انتهاء الحكم الحفصي في المدينة.

كما يضيف أن قسنطينة كانت "في يد الترك" خلال حكم حسن، الذي تولى السلطة سنة 932هـ / 1526م. وهذا يعني أن السيطرة العثمانية على المدينة حدثت إما قبل هذا التاريخ أو

---

[1] _العثمانيون هم سلالة تركية أسست الدولة العثمانية التي امتدت من 1280م حتى 1923م، وتعود أصولهم إلى الأمير عثمان بن أرطغرل، الذي وُلد عام 656هـ (1258م) في الأناضول.لمزيد، يُراجع: أحمد عبد الرحيم مصطفى، **في أصول التاريخ العثماني**، ط 2، دار الشروق، بيروت، 1993م، ص 11-36.

[2] _Vayssette (E)، **Histoire des dernières beys de Constantine، depuis 1793 jusqu'à la chute de Hadj Ahmed Bey** R.A.F. 1858. p44.

[3] _عبد الحفيظ بورايو، **مدينة قسنطينة في أدب الرحلات**، المرجع السابق، ص106.

[4] _Davity : description **general de l'afrique**(E .D 1960)p 205.

[5] _ جميلة معاشي: **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ (16م) الى .13 13هـ (19م)**، دم ج، الجزائر، 2015م، ص111.

[6] _ نفسه، ص111.

[7] _محمد الصالح العنتري، **تاريخ قسنطينة**: مر وتق تع،يحيي بوعزيز،دار هومة، 2006،ص14.

بعده، لكنه لا يحدد بدقة متى وقع هذا الحدث، مما يعكس استمرار التضارب في تحديد تاريخ دخول العثمانيين إلى قسنطينة. وقد أشار إلى هذا الإشكال أيضًا مؤرخون آخرون، كما يذكر المصدر نفسه أن أول حاكم عثماني لقسنطينة هو رمضان باي[1].

أما المؤرخ ابن أبي الضياف، فلم يُحدد تاريخ دخول العثمانيين إلى قسنطينة[2]. أما مؤرخ مدينة قسنطينة، ابن العطار، فقد حدّد سنة 925هـ / 1520م كتاريخ لدخول العثمانيين إلى المدينة[3].

وفي السياق ذاته، ذهب أبو القاسم سعد الله إلى ترجيح سنة 1526[4]م، بينما اعتبرت جميلة معاشي أن دخول العثمانيين إلى قسنطينة لم يكن حدثًا واحدًا بل جرى على مراحل متتالية بعد عدة محاولات، وأن الاستقرار الفعلي للعثمانيين في المدينة بدأ عام 1534م[5]. ومع ذلك، فإن الحكم العثماني لم يترسخ ويتحقق سوى في سنة 1050هـ / 1640م، وفقًا لما ذكره صالح العنتري[6] في تأريخه للمدينة.

كما يُشير هايدو إلى أن دخول العثمانيين إلى قسنطينة حدث عام 926هـ / 1520م، متزامنًا مع فتح خير الدين بربروس لمدينة القل والمناطق المجاورة لها. ويُستدل من هذا الطرح أن سيطرة العثمانيين على قسنطينة لم تكن نتيجة معركة مباشرة، بل جاءت كنتيجة طبيعية لفتح القل،

---

[1] _ابن أبي دينار أبو عبد الله، المؤنس **في أخبار إفريقيا وتونس**، تح: محمد شمام المكتبة العتيقة، تونس 1961، ص163.

[2] _ابن أبي الضياف (أحمد)**: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج1، المكتبة التاريخية، تونس، 1963، ص191.

[3] _احمد بن المبارك بن العطار: **تاريخ قسنطينة**، تح –تع –تق: عبد الله حمادي، دط.دج، دار الفائز للنشر والتوزيع، قسنطينة، 48 الجزائر، 2011م، ص48.

[4] _ابو القاسم سعد الله: **ابحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ش وطن و، ط2، الجزائر، 1981م، في الأول، ص 332.

[5] _جميلة معاشي: **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ (16م) الى .13 13هـ (19م)**، دم ج، الجزائر، 2015م، ص113.

[6] _صالح العنتري، **فريدة مؤنسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة**، مر وتق وتع، يحي بوعزيز، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2005، ص7.

نظرًا للأهمية الاستراتيجية التي كان يحتلها هذا الميناء، حيث كان يُعد المورد الأساسي والتجاري الرئيسي للمدينة[1].

وفي ذات الصدد يُشير فايسات إلى التباين في الروايات حول دخول قسنطينة تحت الحكم العثماني، مؤكّدًا أن المصادر الإسبانية، والأساطير المحلية، والقصص المتوارثة لم تضف الكثير لحسم هذا الجدل. في محاولته تحديد بداية السيطرة العثمانية، رجّح في البداية سنة 1517، لكنه تراجع عن ذلك لأن الإخوة بربروس في تلك الفترة لم يكونوا مدعومين رسميًا من الدولة العثمانية. بدلًا من ذلك، اعتمد على وثيقة تعود لسنة 1528، تفيد بأن المدينة تمردت على حكم خير الدين بربروس، مما دفعه إلى إرسال قارة حسن لاستعادتها، وهو ما يتوافق مع رواية صاحب "الغزوات" الذي أشار إلى أن خير الدين أرسل جيشًا بقيادة قارة حسن لاسترجاع المناطق الشرقية من يد ابن القاضي[2].

كما تطرق فايسات إلى وثيقة نشرها برنسي في المجلة الإفريقية سنة 1856، تعود إلى شهر محرم 935هـ (1528م)، وهي تقرير كتبه عشرة من أعيان وأغنياء قسنطينة[3] حول الأضرار التي لحقت ببساتين الحامة والفحص الأبيض بسبب الحروب بين العثمانيين والسكان المؤيدين للحكم الحفصي. ويفيد التقرير بأن قدوم الحاكم الحفصي حسن بن علي بن فراح ساهم في إعادة الحياة إلى المنطقة، مما يشير إلى أن الحفصيين لم يفقدوا سيطرتهم بالكامل، وأن القسنطينيين كانوا يتمردون متى لم يرضوا عن حاكمهم. وقد قبلوا حكم ابن فراح بسبب شخصيته، وليس لكونه ممثلًا لسلطة، وشهدت قسنطينة في عهده فترة من الاستقرار مكّنت سكانها من استعادة أراضيهم وزراعتها[4].

أما عن الدخول الفعلي للمدينة تحت الحكم العثماني، فقد تم سنة 1535، حيث وُضعت بها حامية عسكرية، كما حدث في المدن المهمة الأخرى، وذلك بعد دخول تونس في نطاق النفوذ

---

[1] _e Haedo Diego: **Topographie et Histoire général D'Alger (La vie à Alger au 16eme Siecle)** , 2eme édition، Edition (G.A.L)، Alger, 2004. p45.

[2] _ Vayssette (E)، **Histoire des dernières beys de Constantine**. Op. Cit, p44.

[3] _الأشخاص العشرة هم عبد الكريم بن الهادي بن عمر، يحي بن محمد الفكون، أبو الفضل الغربي، أبو الطيب المرجاوي، بركات العوادي، محمد المزماجي، عبد الكريم بن زايد، محمد العطاف، محمد بياض، وإبراهيم عبود، يراجع:

" Bresnier(L.J) **Epoque de l'établissement des turcs à Constantine**، R.A, 1856 -57، p400.

[4] _ Ibid. pp401.402.

العثماني. وعبّر فايسات عن ذلك بقوله: إن القسنطينيين وجدوا للمرة الثانية حامية تركية على أبواب مدينتهم، وهو ما يعتبره التاريخ الفعلي لدخول العثماني[1].

أما مارمول فيشير إلى أن قسنطينة عادت إلى السيطرة العثمانية بعد وفاة آخر القادة الحفصيين، حسين بن المية، حيث عزز العثمانيون وجودهم في المنطقة. كما يستند فيرو إلى رسالة القائد الإسباني Don Allar Gourezegal، التي تذكر أن سكان عنابة فروا جماعيًا بعد وصول العثمانيين، حيث لجأ بعضهم إلى الجبال، بينما التحق آخرون بجيش خير الدين بربروس[2]. لكنه يوضح أن هؤلاء السكان عادوا إلى عنابة بعد رحيل خير الدين، كما أن 1000 جندي تركي ممن جاؤوا من تونس برًا توجهوا إلى قسنطينة ونجحوا في فتحها[3] بقيادة حسن آغا[4].

ورغم أن المؤرخ فيرو يرى أن هذه السنة تمثل دخول العثمانيين إلى قسنطينة، إلا أنه لا يستبعد احتمال دخولهم المدينة سابقًا ثم إخراجهم منها من قبل الحفصيين، الذين لم يتخلوا بسهولة عن حكمهم. ويدعم هذا الطرح المؤرخ ابن العطار، الذي أشار في تاريخه إلى أن الجيش العثماني خرج من تونس أو عنابة سنة 1534م ثم عاد إلى قسنطينة، ما يعزز طرح أن الدخول العثمانية كان عملية متقطعة وليست نهائية منذ البداية[5].

---

[1] _ Vayssette (E)، **Histoire des dernières beys de Constantine**. Op. Cit, p45.

[2] _بربروس، المعروف بلقب "ذو اللحية الحمراء"، هو أحد أعظم القادة البحريين في التاريخ العثماني، وُلد في جزيرة لسبوس، واشتهر بقيادة الأسطول العثماني مع شقيقه عروج، مُسيطرًا على سواحل شمال إفريقيا ومحميًا المدن الساحلية من الهجمات الأوروبية، وعُيّن واليًا على الجزائر بعد مقتل شقيقه، ليقود الأسطول العثماني ويحقق انتصارات بحرية كبيرة.للمزيد من الأطلاع ينظر: محمد الزيناتي، **خير الدين بربروس: أمير البحار العثماني**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008.

[3] جميلة معاشي: **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ (16م) الى .13 13هـ (19م)**، المرجع السابق، ص112.

[4] _هو حسن باشا ابن خير الدين عين بايلرباي على الجزائر ثلاث مرات مابين سنوات15567، 1552.ينظر:مبارك بن محمد الميلي: **كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، دار الفكر، بيروت، 1980، ص 145-150.

[5] _جميلة معاشي: **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ (16م) الى .13 13هـ (19م)**، المرجع السابق، ص112،113.

وتؤكد الروايات التاريخية أن الوجود العثماني في قسنطينة قبل هذا التاريخ كان سطحيًا وغير مستقر، بسبب الاضطرابات والثورات التي اندلعت داخل المدينة وخارجها. كما تشير إلى أن الحامية العثمانية كانت متمركزة خارج أسوار المدينة، و لم يكن يُسمح لها بالدخول.[1]

غير أن هذه الرواية تتناقض مع ما ذكره فيرو استنادًا إلى شهادة السي بركات الشريف، مؤرخ فتوحات عروج وخير الدين، حيث أشار إلى النقش الموجود على الجامع الكبير، والذي يثبت أن ترميمه تمّ على يد جعفر باي سنة 1586م. كما تدعم هذه الرواية إحدى العرائض المترجمة من طرف السي بركات الشريف والمؤرخة سنة 1557م، والتي تعود إلى قاضي قسنطينة الحنفي محمد بن حمزة، وتحمل ختم رمضان باي، مما يدلّ، وفقًا لهذه الوثائق، على أن العثمانيين دخلوا المدينة فعليًا بين عامي 1525 و1526م[2].

اذن فقد مر بايلك الشرق بثلاث مراحل تاريخية رئيسية، لكل منها خصوصياتها:

المرحلة الأولى (1522-1567م): تميّزت هذه المرحلة بالصراع مع الحفصيين، وخاصة أسرة عبد المؤمن، مع سعي العثمانيين لكسب دعم الأسر المتنفذة، مثل عائلة ابن الفكون.

المرحلة الثانية (1567-1771م): شهدت هذه الفترة ترسيخ النظم الإدارية والعسكرية في البايلك، مع التركيز على إحكام السيطرة والقضاء على التمردات والثورات لضمان استقرار الحكم.

المرحلة الثالثة (1771-1837م): بدأت بتولي صالح باي الحكم، وعرفت ازدهارًا اقتصاديًا واجتماعيًا ملحوظًا، لكنها انتهت مع الاحتلال الفرنسي للمدينة سنة 1837م[3]

2_موقف سكان قسنطينة من دخول العثمانيين المدينة

عند وصول العثمانيين إلى مشارف قسنطينة، انقسم سكان المدينة إلى تيارين رئيسيين: الأول معارض بشدة للعثمانيين، بزعامة شيخ الإسلام سيدي عبد المؤمن، وكان متمسكًا بالحكم الحفصي،

---

[1] _جميلة معاشي، المرجع السابق، ص113.

[2] _ Feraud Charl، **Epoque de L'établissement des turcs à Constantine**، in R.A.N10, 1866, P190.

[3] _فلة موساوي القشاعي، **النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837**، القافلة للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 2016، ص33.

بينما دعم التيار الثاني دخول العثمانيين، بقيادة أسرة الفكون، التي كانت من أبرز العائلات القسنطينية وأكثرها نفوذًا وثروةً.

أ-التيار الرافض للوجود العثماني

تزعم هذا التيار سيدي عبد المؤمن، الذي يُعد من الوجوه الدينية البارزة في المدينة، إلى جانب دعم من عرب أولاد صولة. وشكّلت هذه المعارضة القوية عقبة أمام دخول العثمانيين، حيث أغلقت أبواب المدينة في وجه حسن آغا، القائد العثماني، ما دفعه إلى التمركز بسطح المنصورة في انتظار الفرصة المناسبة. حاول العثمانيون استمالة عبد المؤمن عبر وساطة الشيخ عبد الكريم الفكون، لكنه رفض عروضهم.

لجأ العثمانيون إلى الحيلة، حيث دعوا عبد المؤمن إلى مفاوضات في المنصورة، وهناك تم اغتياله سنة 980هـ / 1572م. بعد مقتله، اندلعت معارك شرسة في المدينة، استمرت يومين، انتهت بهزيمة أسرته وأتباعه. ومع ذلك، حافظت الأسرة على مكانتها الدينية وأُبقيت لها ممتلكاتها، بل ظل بعض أفرادها يشغلون إمارة ركب الحج. بينما اختار بعضهم مغادرة المدينة نحو بسكرة وضواحيها، وواصل عرب أولاد صولة مقاومتهم إلى أن هُزموا، فلجؤوا إلى منطقة ليانة شرق بسكرة.

ب-التيار المؤيد للعثمانيين

كانت أسرة الفكون من أبرز داعمي العثمانيين، حيث بدأ تعاونهم منذ سنة 928هـ / 1522م، عندما توسط زعيمهم يحيى بن محمد الفكون لتزويد العثمانيين بالمؤن عبر قبيلة أولاد يعقوب الدواودة. وفي سنة 941هـ / 1534م، التحق يحيى الفكون بخير الدين بربروس في تونس، لكنه قُتل هناك أثناء الحملة الإسبانية، فاعتبره العثمانيون شهيدًا، وعيّنوا ابنه أبا الفضل قاسم الفكون قاضيًا على قسنطينة. استمر ولاء الأسرة للعثمانيين حتى وصلوا إلى منصب شيخ الإسلام بعد سقوط عبد المؤمن[1].

لعب عبد الكريم الفكون (ت 988هـ / 1580م) دورًا أساسيًا في دعم العثمانيين، إذ ساهم في إخماد الثورات التي كانت ضد العثمانين (ثورة أسرة عبد المؤمن) وخارجها (ثورة عرب

[1] عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 48

أولاد صولة). كما خاطر بنفسه لتهدئة الأوضاع، وفي سنة 975هـ / 1567م خرج مع المفتي عبد اللطيف إلى القبائل العربية لإقناعهم بالخضوع للحكم العثماني، لكنه وقع في الأسر، و لم يُطلق سراحه إلا بتدخل العثمانيين[1].

وفي سنة 976هـ / 1568م، توجه الفكون إلى الجزائر العاصمة للقاء الباشا العثماني، لكن وصول أنباء عن معارك دامية بين سكان قسنطينة والحامية العثمانية أثار شكوك الباشا، فأمر باعتقال الوفد، إلا أنهم فرّوا إلى جبال القبائل. وبعد أن تأكد الباشا من حسن نواياهم، أكرمهم وعفا عنهم[2].

وبعد هذه الأحداث، سار العثمانيون بجيشهم نحو مدينة قسنطينة، وتمكّنوا من الدخول إليها، ثم عُيِّن رمضان تشولاق واليًا عليها. وبعد ذلك، واصل عبد الكريم الفكون جهوده لدعم الحكم العثماني، ودعا سكان المدينة إلى طاعتهم حتى وفاته سنة 988هـ / 1580م[3].

من خلال ماسبق يبدو لي أن معارضة سيدي عبد المؤمن للعثمانيين لم تكن فقط لأنه كان على ولاء للحكم الحفصي، بل لأنه خاف أن يفقد نفوذه ومكانته في المجتمع، خاصة أنه كان شخصية دينية معروفة. فرفضه للعثمانيين لم يكن مجرد رفض لحكم جديد، بل كان أيضًا دفاعًا عن مكانته التي كانت تمنحه سلطة دينية وسياسية في نفس الوقت.

ويبدو أن العثمانيين حاولوا كسبه إلى صفهم، لكنه رفض. وقد يكون هذا الرفض مرتبطًا أيضًا لكونه شريف النسب، وهو ما جعله لا يعترف بشرعية الخلافة العثمانية. فبعض العلماء لم يكونوا يرون في العثمانيين خلفاء شرعيين، خاصة مع وجود عائلات لها نسب ديني معتبر مثل الأشراف.

من خلال هذا، يمكن أن نفهم أن العثمانيين أرادوا السيطرة على الوضع من خلال إبعاد الشخصيات المؤثرة محليًا، مثل سيدي عبد المؤمن. وفي المقابل، نجد أن أسرة الفكون اختارت طريقًا

---

[1] _عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 48.

[2] _نفسه ، ص 48.

[3] _جميلة معاشي: **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ (16م) الى 13هـ (19م)**، المرجع السابق، ص ص 114_115 وص ص 116_117.

مختلفًا، فحاولت التعاون مع العثمانيين بدلًا من معارضتهم. ساعدت هذه الأسرة الجنود العثمانيين، خاصة عبر علاقتها بقبيلة أولاد يعقوب، ولعب عبد الكريم الفكون دورًا مهمًا في تهدئة بعض المناطق. ومن هذا كله، نفهم أن أسرة الفكون أرادت الحفاظ على مكانتها داخل المجتمع.

المبحث الثالث: التنظيم الإداري لبايلك الشرق في العهد العثماني

1ـ إرساء دعائم الحكم العثماني في بايلك الشرق

بعدما تطرقنا إلى الدخول العثماني لقسنطينة، الذي وصفه لطفي عيسى بـــ"الولادة العسيرة لبايلك الشرق الحفصي"[1]، نظرًا لما استغرقه من وقت طويل ومحاولات متكررة و بعدما استعرضنا مراحل التاريخية للبايلك وخصوصيات كل مرحلة، إضافة لموقف السكان من هذا الدخول، نصل الآن إلى مرحلة إرساء دعائم الحكم العثماني في بايلك[2] الشرق. فبعدما قرر حسن باشا بن خير الدين تقسيم الجزائر إلى ثلاثة أقاليم، أُطلق على كل منها اسم "البايلك"، وذلك بهدف ضبط السلطة وإقامة إدارة محكمة. وقد كانت هذه الأقاليم على النحو التالي:

بايلك الجزائر (المعروف أيضًا باسم "دار السلطان").

---

[1] ـ لطفـــي عيسى، **مدخل إلى دراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر**، دط، سراس للنشر، تونس، 1994، ص 36.

[2] ـيعود أصله إلى الكلمة التركية **"بكلك"**، التي تتكون من جزئين" **:بك"**، وهو لقب كان يُطلق في الأصل على السلاطين والقادة العثمانيين البارزين، و"لك"التي تشير إلى الملكية أو الارتباط. مع مرور الزمن، أصبح المصطلح يُستخدم للإشارة إلى **كل ما هو مملوك للدولة**، مثل **"طريق البايلك "**أو **"أرض البايلك** ."وقد تطور ليعني **نظام حكم الباي وإدارته**، بل امتد ليشمل كل ما هو **عمومي وملك للجميع**. بحسب **أحمد سيساوي**، فإن البايلك لعب دورًا مهمًا في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية، وهو ما تناوله في أطروحته للدكتوراه **البعد البايلكي في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية من فالي إلى نابليون الثالث(1833-1871م)**، تحت إشراف كمال فيلالي، جامعة قسنطينة، 2013-2014، ص 19.

أما جميلة معاشي، فقد فسّرت المصطلح من منظور لغوي وتاريخي، حيث اعتبرت أن **"البابلك "**هو مصطلح تركي يُقصد به الإمارة أو اللواء، و لم يُستخدم في منطقة **الشرق الجزائري** إلا خلال العهد العثماني. وقد لجأت إلى استعماله في دراستها للحفاظ على وحدة المصطلح عند الحديث عن تلك الحقبة، **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10 هـــ (16م) إلى 13 هـــ (19م)، المرجع** السابق، ص 13.بينما يرى **عميراوي أحميدة** أن البايلك يُشير إلى **أرض الباي أو الداي**، ينظر: عميراوي أحميده، **علاقات بايلك الشرق بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**،دط، دار البعث، قسنطينة، 2002،ص4.اعتبره بول فيلات بمثابة الدولة، في حين رأى التركي إسماعيل حامد أنه يمثل حكومة، اعتبره بعض المؤرخين نظامًا أوليجارشيًا، وهو الرأي الذي دعمه شارل روبير أجيران. للمزيد من الاطلاع ينظر: كمال فيلالي، **البايلك نظام حكم في الجزائر العثمانية**، مدير مخبر الدراسات السوسيوتاريخية حول حركات الهجرة، جامعة قسنطينة 2، ص16.

بايلك الغرب، وكانت عاصمته مازونة[1]، ثم معسكر، وبعد تحرير وهران من الإسبان، أصبحت هي العاصمة.

بايلك التيطري، وكانت عاصمته المدية.

بايلك الشرق، وعاصمته قسنطينة، وكان هذا الإقليم الأوسع مساحة والأكثر عمرانًا[2].

وكان على رأس كل بايلك نائب عن الداي، يُعرف بلقب الباي[3]. ومع استحداث نظام البايلك، أصبحت قسنطينة عاصمة لبايلك الشرق ابتداءً من سنة 1567م، حيث عُيّن رمضان تشولاق باي[4] كأول حاكم عثماني للمدينة، واستمر حكمه من 1567م إلى 1574م. وبعده، تعاقب على قسنطينة حوالي 45 بايًا[5] في حين يقدرهم عبد العزيز فيلالي بـــ 50 واليا.[6]

2_ التنظيم الإداري:

شهد بايلك الشرق، باعتباره أكبر أقاليم الجزائر العثمانية من حيث المساحة والعمران، تنظيمًا إداريًا محكمًا يعكس سعي السلطة العثمانية إلى ضبط النظام وضمان الاستقرار داخل هذا الإقليم

[1] _كلمة بربرية تعني أرض الرجال الاقوياء تعتبر القلب النابض للإقليم الغربي، وهي بلدة عريقة اسست على جبال الظهرة منذ عدة قرون عانت كثيرا من الصراع الدائر بين ملوك افريقيا من مرابطين وموحدين وزيانيين وصولا للعثمانيين الذين اتخذوها عاصمة البايلك الغرب قبل تحرير وهران للمزيد ينظر: ميلود ميسوم، **مدرسة مازونة "دراسة تاريخية فنية"**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان الجزائر، 2002-2003م، ص ص 3-4.

[2] _محمد الهادي شعيب، **أم الحواضر في الماضي والحاضر أو تاريخ قسنطينة**، المرجع السابق، ص230،231.

[3] _مصطلح تركي يطلق على كبار القادة والكاف تلفظ ياء، اعتمده العثمانيون كلقب الحاكم الولاية أو المقاطعة. للمزيد ينظر: محمود عامر: المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية في مجلة دراسات تاريخية العددان، 117 _118، جامعة دمشق2012م، ص 369.

[4] _تولى محمد بن صالح باي حكم بايلك الشرق بين عامي 1567 و1574م في ظروف مضطربة، حيث بذل جهودًا كبيرة لبسط نفوذه وترسيخ الحكم العثماني في المنطقة. شارك في الحملة العثمانية ضد الإسبان في تونس عام 1570م بقيادة خلج علي باشا، كما واجه عدة تمردات داخلية بين 1570 و1572م، إلا أنه تمكن من قمعها واستعادة الاستقرار. للمزيد، يُنظر: محمد الصالح بن العنتري، المصدر السابق، ص 30-31.

[5] _ينظر الملحق رقم 02.

[6] _ينظر: د. عبد العزيز فيلالي، **مجمل تاريخ قسنطينة السياسي العمراني الثقافي والاقتصادي**، المرجع السابق، ص184.

الشاسع. وقد بُني هذا التنظيم على تقسيم السكان إداريًا إلى وحدات هرمية متدرجة، تبدأ من الباي على رأس السلطة، وصولًا إلى شيوخ الدواوير.

في هذا السياق، قُسمت القبائل إلى وحدات أصغر (فرق ودواوير)، حيث يشرف شيخ على كل فرقة، ويرأس كل دوار شخص ذو مكانة اجتماعية ونفوذ داخل جماعته، يُختار وفقًا لمعايير تتعلق بالثروة والعلم والجاه. أما قائد القبيلة، والذي يعينه الباي مباشرة، فقد كان يتمتع بصلاحيات واسعة، أهمها تنفيذ أوامر السلطة، الحفاظ على النظام، الفصل في النزاعات، تأمين الطرق والمسالك، الإشراف على استغلال الأراضي، والمساهمة في جباية الضرائب.

كما أُوكلت إليه مهمة تعبئة رجال القبيلة عند الحاجة، حيث يقود جيشها بنفسه بمعية كاتب ومجموعة من رؤساء الفرق. وقد اشُترط في هذا القائد أن يكون قويًا، شجاعًا، ذا نفوذ وثروة، ومتمتعًا بروح التنافس والقدرة على فرض الهيبة. ومنع تعيين الأجانب في هذا المنصب لضمان الولاء والاستقرار[1].

الى جانب قادة القبائل، اعتمد الباي على مجموعة من القادة الرئيسيين الذين أشرفوا على تسيير شؤون الآيالة، حيث انقسموا إلى قادة للناحية الجنوبية وآخرين للشمال والساحل، بالإضافة إلى مسؤولي المدن. ففي الجنوب نجد شيخ الحناشة (يشرف على 12 قبيلة)، شيخ العرب في بلاد الزاب (11 قبيلة)، قائد الحراكتة الذي كان يقيم بمدينة قسنطينة نظرًا لأهمية موقعه وارتباطه المباشر بالباي (أشرف على مجلس يضم 32 قبيلة صغيرة)، إلى جانب قائد الزمولة (20 قبيلة)، وقائد الأوراس (12 قبيلة)، وقائد العامر (6 قبائل)، وشيخ بلزمة (13 قبيلة). أما في الشمال والساحل، فقد تولى المهام كل من قائد سكيكدة (9 قبائل)، وقائد أولاد إبراهيم (11 قبيلة)، وقائد زردازة (عدة قبائل)، وشيخ فرجيوة (6 قبائل)، وقائد أولاد عبد النور (31 قبيلة)، وقائد التلاغمة، وقائد العمر الغرابة (5 قبائل)، وشيخ قصر الطير (8 قبائل)، وشيخ أولاد مكر بمجانة (13 قبيلة)، وأخيرًا قائد أولاد دراج. وبجانب هذا التنظيم القبلي، خضعت بعض المدن الرئيسية لإدارة مباشرة من طرف قادة تعيّنهم السلطة، حيث تولى أربعة منهم مسؤولية تسيير مدن تبسة، ميلة، زمورة، والمسيلة[2] ويبيّن هذا

[1] ـ ينظر: د. عبد العزيز فيلالي، **مجمل تاريخ قسنطينة السياسي العمراني الثقافي والاقتصادي**، المرجع السابق، ص ص182،183.

[2] – د. عبد العزيز فيلالي، **نفسه**، المرجع السابق، ص ص182،183.

التنظيم الإداري المحكم مدى حرص الباي على فرض سلطة مركزية صارمة تضمن الاستقرار والانضباط في كامل بايلك الشرق، إذ كُلّف كل قائد أو شيخ بمسؤوليات محددة وفق تراتبية واضحة تضمن استمرارية النظام العثماني وفعالية الحكم المحلي.

وبناءً على ما سبق، يمكن استخلاص أهم ملامح الفصل على النحو الآتي:

استعرض الفصل الأبعاد التاريخية والجغرافية لبايلك الشرق، انطلاقًا من تتبع أصول تسميته في مختلف المصادر، العربية والغربية، خاصة ما تعلق بمدينة قسنطينة، حاضرة البايلك. كما تناول موقع الإقليم وطبيعته الجغرافية ودوره الحيوي في شبكة العلاقات بين الداخل والمراكز الساحلية. وبيّن الفصل كيف كان دخول العثمانيين إلى المنطقة متدرجًا، قوبل بمواقف متباينة من السكان، بين القبول والرفض. واختُتم بتوضيح التنظيم الإداري الذي اعتمدته السلطة العثمانية، والذي عكس طابعًا مركزيًا صارمًا، مع مرونة محلية سمحت للباي بالتحكم في مجال شاسع قبليًا ومجاليًا.

الفصل الثاني: قراءة في المضمون العام للرحلة

المبحث الأول: التعريف بالكاتب ودوافع الرحلة

المبحث الثاني: مضمون الرحلة

المبحث الثالث: قراءة نقدية للرحلة

تندرج رحلة توماس شاو ضمن سياق غني برحلات استكشافية وكتابات وصفية تناولت المنطقة المغاربية خلال القرن الثامن عشر. وقد رافق هذه الرحلات تنوّع في الخلفيات الثقافية والدوافع العلمية والدينية. وفي هذا الإطار، تسعى هذه الدراسة إلى وضع رحلة شاو في سياقها الزمني والفكري، من خلال مقارنتها ببعض الرحلات التي عاصرته، والتوقف عند المنهج الذي اعتمده في جمع المعلومات، والمصادر التي استند إليها، دون إغفال طبيعة المواضيع التي ركّز عليها وأسلوبه في عرضها.

المبحث الأول: التعريف بالكاتب ودوافع الرحلة

1_ التعريف بالكاتب:

يعد الدكتور توماس شاو [1](Thomas Shaw) يُعدّ من أبرز الرحالة الأوروبيين الذين زاروا شمال إفريقيا خلال القرن الثامن عشر، حيث ساهمت أعماله الاستكشافية في تقديم رؤى دقيقة عن المنطقة. وُلد عام [2] 1692في كندال (Kendal) بشمال غرب إنجلترا، وتلقى تعليمه في جامعة أكسفورد، حيث درس العبرية، العربية، اليونانية، واللاتينية[3]عُيّن سنة 1720أسقفًا في القنصلية البريطانية بالجزائر، حيث تولى مسؤوليات دينية لصالح الوكالة التجارية الإنجليزية، لكن شغفه بالبحث والاستكشاف قاده إلى دراسة الآثار، التاريخ الطبيعي، علم النبات، وعلم الفلك .

---

[1] _لقب "دكتور شو" له أصول لاتينية ونشأة يهودية، حيث استخدمه اليهود للإشارة إلى حاخام الشريعة اليهودية، ثم انتقل إلى المسيحيين ليُطلق على علماء اللاهوت في الشريعة المسيحية. وقد مُنح هذا اللقب لتوماس شو تقديراً لمكانته العلمية، بالإضافة إلى كونه عضواً في إكليروس الكنيسة. يُراجع: حميد آيت حيوش، "نظرة مصادر الأوربية إلى تاريخ الجزائر في العهد العثماني"، مجلة عصور، العدد 18-19، الجزائر، 2012، ص 126.

[2] _تذكر مصادر أخرى أنه ولد سنة 1693، وأخرى سنة 1694 (أنظر:

shaw au Proche-Orient, 1721-1722 : élucidation et defense Zehor Zizi, Thomas Des Textes sacrés, in : XVIIe et XVIIIe, Revue de la société d'études anglo-américaines des XVIIe et XVIIIe siècles. N°67, 2010. L'attrait de l'Orient/The Call of the East. p. 22, note n°1

[3] _مراد تاجنانت، محمد زرقون، "آراء وملاحظات الرحالة البريطاني توماس شو حول حياة سكان حواضر الجزائر خلال القرن الثامن عشر ميلادي (1720-1732)"، مجلة العبر للدراسات التاريخية شمال إفريقيا، العدد 1، جانفي 2023، المجلد 6، جامعة علي لونيسي البليدة 2، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة.ص228.

كان على تواصل مع العديد من العلماء البارزين، من بينهم إدموند هالي (Edmund Halley)[1]، مما جعله يحظى بعضوية الجمعية الملكية بلندن (Royal Society of London for the Improvement of Natural Knowledge)

أمضى اثني عشر عامًا(1720-1732) تنقلا بين الجزائر، تونس، مصر، فلسطين، الأردن، وسوريا[2]، حيث جمع معلومات دقيقة عن الجغرافيا، المناخ، الإثنوغرافيا، والنشاط الاقتصادي .تميز شاو بمنهجه العلمي الصارم، إذ كان يتحقق من المعلومات، يرسم الخرائط وفقًا للطبيعة وما ورد في كتب الجغرافيا القديمة، ويبني دراسته المناخية على النباتات والإنتاج الزراعي والحيواني .رفض الأساطير والخرافات، وفضّل الاعتماد على المصادر الأكاديمية، مكتبات رجال الدين الفرنسيين[3]، لم تقتصر دراساته على الجوانب العلمية، بل امتدت إلى وصف المدن والمناطق التي زارها، من خلال دراسته للغطاء النباتي، الزراعة، تقاليد الطبخ، اللباس، الثروات الطبيعية، فنون العمارة، المعتقدات الشعبية، والمناسبات الثقافية، مما جعله مرجعًا أساسيًا لفهم الحياة في ايالة الجزائرخلال العهد العثماني[4].

[1]_Zehor Zizi, op. Cit. p23.

[2] _فوزية الرغم، "الأطباء الأوروبيون بالجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة عصور، العدد 21، الجزائر، 2013م، ص، 249.

[3]_Nedjma Benachour, Constantine de la période ottomane dans les 7 récits de voyage de Léon l'Africain et Thomas Shaw, in: Revue des sciences humaines, n°29, juin 2008, Université Mantouri, Constantine, Algérie 2008. p. 29.

[4]_ Ibid, p. 29.

بعد عودته إلى إنجلترا، استقر في أكسفورد[1]، حيث واصل نشاطه الأكاديمي حتى وفاته عام 1751، تاركًا إرثًا علميًا غنيًا، ارتكز على ملاحظاته الميدانية الدقيقة وتجاربه الواسعة، مما جعله إحدى الشخصيات البارزة[2] في مجال الاستكشاف العلمي والجغرافي[3].

[1] Nedjma Benachour -Tebbouche, **Constantine et ses écrivains voyageurs**, chihab, Alger, 2015, p : 42.

[2] – أنظر الملحق رقم03.

[3] Voyagers and Travellers, Philosophers and men of science, Authors, vol 3 of the Georgian Era.
Memoirs of the most eminent person. Who have flourished in Great Britain, frome the accessiour of Geroge the First to the demise of Geroge the Fourth? 4 vols, London. Vizetelly, Bronston and Co, 1834, p 29.

2-دوافع الرحلة:

إن رحلات الأوروبيين نحو الشرق كانت مدفوعة بأسباب متشابهة، حيث تداخلت الدوافع السياسية، مثل التجسس والتوسع، مع الأبعاد الدينية، كالحج إلى الأراضي المقدسة، إلى جانب الأسباب العلمية والمهنية[1]. وجاءت رحلته في سياق نقد الكنيسة والنصوص المقدسة في أوروبا، خاصة في إنجلترا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، ما دفعه إلى محاولة الدفاع عن المسيحية عبر تقاريره واستكشافاته.

رغم أن شو برر رحلته بالسعي لإحياء الجغرافيا القديمة والتاريخ الطبيعي[2]، إلا أن هذا السبب لا يبدو كافيًا لعمل ضخم كهذا، خاصة أنه يحتوي على معلومات تتجاوز فهم العامة، ما يشير إلى أن الهدف الحقيقي كان يخدم الأوساط العلمية. فقد كان على اتصال بالجمعية الملكية في لندن قبل مهمته في الجزائر، حيث أبدى اهتمامًا خاصًا بالتاريخ الطبيعي، والفلك، والجيولوجيا[3].

استغل وجوده في الجزائر لإرسال تقارير علمية إلى الجمعية الملكية، و لم يكتف بذلك، بل قارن بين ما ورد في النصوص المقدسة وكتب المؤرخين القدماء وبين ملاحظاته الميدانية، مؤكدًا بعضها ومفندًا الآخر. وتمكن خلال رحلته من جمع 600 نوع من النباتات، منها 100 نوع لم تكن معروفة سابقًا للعلماء.يتضح إذن أن مهمة شو لم تكن دينية بحتة، بل كانت غطاءً لأبحاثه العلمية، إذ كانت تقاريره تُعد بناءً على طلب الجمعية الملكية، التي أشرفت على نشرها. ويُعتقد أن جولته في الجزائر وتونس لم تكن سوى محطة نحو الأراضي المقدسة، حيث سعى إلى التحقق من صحة ما ورد في الإنجيل عن تلك المناطق.[4]

---

[1]- Zehor zizi. Op.Cit, p p 35, 37.

[2]- Voyages de Mons. **Shaw,M,D dans plusieurs provinces de la Barbarie et du levant contenant des observations géographiques, physiques, philologiques et mellées sur les royaumes d'Alger et de Tunis**, sur la Syrie, L'egypte et L'Arabie Petrée, Tome 1, a la HATE chez Jean Neauzme, 1743, p 4.

[3]- Zehor zizi, ,Op.Cit, p p 35, 37.

[4]- Ibid. p23.

المبحث الثاني: مضمون الرحلة

1_محتوى الرحلة:

قدم الدكتور شو من خلال رحلته وصفًا دقيقًا وشاملًا لإيالة الجزائر خلال العهد العثماني في القرن الثامن عشر، متناولًا مختلف الجوانب الجغرافية، الطبيعية، والسياسية. وقد قضى أكثر من عشر سنوات في التجوال بين ربوعها، ما مكّنه من تقديم وصف مفصل للمدن الجزائرية، إضافة إلى أخلاق السكان، عاداتهم، وأسلوب معيشتهم[1].

قسّم الدكتور شو محتوى كتابه إلى عشرة فصول، تناول فيها طبوغرافيا الإيالة، فاستعرض تضاريسها، مناخها، وثرواتها الطبيعية، إلى جانب وصف تفصيلي للحياة البرية، شمل الحيوانات البرية، الطيور، الحشرات، والأسماك. كما سلط الضوء على العلوم والفنون والصناعات الحرفية، فضلًا عن العادات والتقاليد السائدة آنذاك.

وفي الجانب السياسي، ركّز على بنية الحكومة الجزائرية خلال تلك الفترة، موضحًا دور الداي، الآغا، والضباط، إضافة إلى استعراض تكوين الجيش الجزائري، قوته، تسليحه، رواتب جنوده، واستراتيجياته القتالية. كما تناول التقسيم الإداري للإيالة، مقدمًا وصفًا تفصيليًا لمقاطعاتها، بدءًا من التيطري، قسنطينة، والزاب (المناطق الصحراوية)، وصولًا إلى معسكر، تلمسان، ومقاطعة الجزائر[2].

أما في الجزء الثاني من رحلته، فقد وسّع نطاق بحثه ليشمل مصر، عرب البتراء، والأراضي المقدسة، متناولًا الفينيقيين ومضارب بني إسرائيل. ولتعزيز دراسته، أرفق كتابه بملاحق استقاها من كتابات المؤرخين القدماء، مثل هيرودوت وبلينيوس، خاصة فيما يتعلق بالجغرافيا ووصف المناطق التي زارها. كما ضمّن قائمة تفصيلية بأسماء ورسوم توضيحية للنباتات النادرة التي اكتشفها، بالإضافة

[1] -المهدي البوعبدلي،"موقف المؤرخين الأجانب من تاريخ الجزائر عبر العصور"، مجلة الأصالة، العدد 14-15 (جويلية-أوت)، 1973، ص 131.

[2] _ آمنة فاطمة زهرة العيايدة،"أهمية المصادر الغربية في كتابة تاريخ الجزائرالحديث 1519-1830 (دراسة نماذج) "، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، المجلد 7، العدد 1، الجزائر: جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله ،2022، ص106.

إلى قائمة بالكائنات البحرية، شملت الأسماك النادرة التي رصدها على سواحل الجزائر وتونس[1]. كذلك، تضمن الكتاب معلومات علمية حول النترات وملح الأمونياك، مما يعكس النهج الأكاديمي والبحثي الذي تبنّاه الدكتور شو في رحلته[2].

2_الدراسة الظاهرية والباطنية:

أ_الدراسة الظاهرية:

نشر هذا العمل لأول مرة باللغة الإنجليزية في أكسفورد عام 1738 تحت عنوان ***Travels or Observations Relating to Several Parts of Barbary and the Levant***، حيث وثّق فيه المؤلف مشاهداته وانطباعاته عن المناطق التي زارها، مقدمًا تحليلات جغرافية وثقافية مفصلة. وفي عام 1746، أصدر ملحقًا بعنوان ***A Supplement to a Book entituled Travels or Observations &c.***، ردًّا على بعض الانتقادات التي وُجهت إلى الطبعة الأولى، مضيفًا توضيحات وتعقيبات جديدة أغنت محتوى الكتاب.

شهد كتاب الدكتور شاو عدة إصدارات، تعكس استمرار الاهتمام به وأهميته العلمية. صدرت طبعته الثانية في لندن عام 1753، ثم الثالثة في باريس عام 1830[3] بترجمة جون ماك كارتي، عضو الجمعية الجغرافية في باريس. لم يقتصر تأثير الكتاب على القارئ الناطق بالإنجليزية، بل تُرجم إلى عدة لغات، وكانت من أوائل الترجمات النسخة الفرنسية التي نُشرت في لاهاي عام 1743 تحت عنوان ***Voyages de Mons'. Shaw, dans plusieurs provinces de la Barbarie et du Levant***، والتي تضمنت تحليلات جغرافية وطبيعية ولغوية عن الجزائر وتونس وسوريا ومصر وشبه الجزيرة العربية، إلى جانب خرائط ورسومات توضيحية. ورغم عدم ذكر اسم المترجم في الطبعة الأولى، فقد أُعيد إصدارها عام 1753 بإضافة لوحات توضيحية

[1] -خميس سعدي، "الرحلات الأوروبية مصدر لتاريخ الوطن العربي: رحلة الدكتور شو أنموذجًا"، المجلة التاريخية الجزائرية، م5، العدد 1، سنة 2021، المركز الجامعي سي الحواس بريكة، الجزائر، ص326.

[2] -نفسه، ص326.

[3] -أنظر الملحق رقم04.

للحيوانات والنباتات، قبل أن تصدر طبعة ثالثة[1] عام 1830 بعنوان *Voyage dans la régence d'Alger, ou description géographique, physique, philologique, etc., de cet état.*

كما تُرجم الكتاب إلى الألمانية عام 1765 وإلى الهولندية عام 1773[2]، مما يعكس قيمته العلمية وتأثيره الواسع في الأوساط الأكاديمية[3].

وفقًا للنسخة المترجمة للعربية تحديدا الجزء الخاص بإيالة الجزائر، يتألف هذا الكتاب من 250 صفحة، تتضمن مقدمة كتبها المترجم في الصفحة السابعة، وتنبيه في الصفحة الثامنة إلى جانب عشرة فصول تناولت مختلف الجوانب الجغرافية والبيئية والاجتماعية والعسكرية المتعلقة بالجزائر.

عند مقارنة النسخ المتوفرة لدينا من كتاب الدكتور شو، نجد أن النسخة الأصلية التي نُشرت باللغة الإنجليزية سنة 1738 تتكوّن من 602صفحة، وقد قسمها المؤلف إلى أربعة أقسام:

القسم الأول :مخصص لإيالة الجزائر، ويضم ثمانية فصول، بعنوان:

Geographical Observations Relating to the Kingdom of Algiers.

القسم الثاني :يتناول إيالة تونس، ويحتوي على خمسة فصول، بعنوان:

Geographical Observations Relating to the Kingdom of Tunis.[4]

---

[1] _ مراد تاجنانت، محمد زرقون، **"آراء وملاحظات الرحالة البريطاني توماس شو حول حياة سكان حواضر الجزائر خلال القرن الثامن عشر ميلادي (1720-1732)"**، المرجع السابق، ص230.

[2] -نفسه، ص230.

[3] -المهدي البوعبدلي،"موقف المؤرخين الأجانب من تاريخ الجزائر عبر العصور"، المرجع السابق، ص131.

[4] _ مراد تاجنانت، محمد زرقون، **"آراء وملاحظات الرحالة البريطاني توماس شو حول حياة سكان حواضر الجزائر خلال القرن الثامن عشر ميلادي (1720-1732)"**، المرجع السابق، ص231.

القسم الثالث :يضم ملاحظات وآراء حول التاريخ الطبيعي، بالإضافة إلى معلومات عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الإيالتين، ويتكوّن من أربعة فصول، بعنوان:

Physical and Miscellaneous Observations &c. or an Essay Towards the Natural History &c. of the Kingdoms of Algiers and Tunis.[1]

القسم الرابع :خُصص للمشرق العربي، ويتضمن خمسة فصول تتعلق بسوريا ومصر والعربية البترائية، وعنوانه:

Geographical, Physical and Miscellaneous Observations, Relating to Syria, &c. Egypt, and Arabia Petræa.

أما بالنسبة للنسخ المترجمة إلى اللغة الفرنسية:

نسخة سنة 1743 :لم يُذكر فيها اسم المترجم، وتتكوّن من جزأين. الجزء الأول يشمل الجزائر وتونس مع الحفاظ على نفس الفصول الموجودة في النسخة الإنجليزية الأصلية، في حين خُصص الجزء الثاني لبلدان المشرق التي زارها المؤلف.

نسخة سنة 1830 :قام بترجمتها جون مالك كارتي(Mac Carthy) ، وركّز فيها فقط على إيالة الجزائر. جمع في هذه النسخة القسم الأول من الطبعة الأصلية وأضاف إليه بعض الملاحظات والآراء الواردة في القسم الثالث، فصدرت هذه النسخة في حوالي 402 صفحة[2].

محتوى الفصول للنسخة المترجمة للعربية فيما يخص الجزائر:

الفصل الأول: يقدم لمحة طبوغرافية عن مقاطعة الجزائر، متناولًا مناخها، طبيعة تربتها، وإنتاجها الزراعي، ويمتد من الصفحة 9 إلى 26.

[1] _ مراد تاجنانت، محمد زرقون، **"آراء وملاحظات الرحالة البريطاني توماس شو حول حياة سكان حواضر الجزائر خلال القرن الثامن عشر ميلادي (1720-1732)"**، المرجع السابق، ص231.

[2] _ نفسه، ص231.

الفصل الثاني: يتطرق إلى عالم الكائنات الحية، مسلطًا الضوء على الحشرات، ورباعيات الأقدام، والطيور، والأسماك، وغيرها، وذلك من الصفحة 27 إلى 48.

الفصل الثالث: يناقش العلوم والفنون والصناعات التقليدية، إضافة إلى العادات والتقاليد، من الصفحة 49 إلى90.

الفصل الرابع: يعرض نظام الحكم في مدينة الجزائر، مع الإشارة إلى الإدارة، والضباط، والميليشيا، وذلك من الصفحة 91 إلى109.

الفصل الخامس: يخصص لدراسة ميليشيا الجزائر، حيث يستعرض قوتها، وتشكيلها، ورواتب أفرادها، ومعسكراتها، واستراتيجياتها القتالية، إلى جانب ملاحظات إضافية، ويمتد من الصفحة 110 إلى 131.

الفصل السادس: يقدم وصفًا تفصيليًا لمقاطعتي معسكر وتلمسان، وذلك من الصفحة 132 إلى 161.

الفصل السابع: يركز على وصف العاصمة الجزائر، من الصفحة 162 إلى 194.

الفصل الثامن: يتناول منطقة بايلك التيطري، وذلك من الصفحة 195 إلى200.

الفصل التاسع: يخصص لوصف بايلك قسنطينة، من الصفحة 201 إلى 242.

الفصل العاشر: يختتم الكتاب بوصف مقاطعة الزاب، وذلك من الصفحة 243 إلى 250.

وفي ختام الكتاب، يتضمن فهرسًا مفصلًا لمحتوياته.

أما بالنسبة للحجم الفعلي للكتاب ولونه في النسخة المترجمة للعربية التي توفرت لدينا، فقد جاء بحجم متوسط، مما يجعله مريحًا للحمل وسهل الاستخدام أثناء القراءة.

تصميم الغلاف:

يحمل الغلاف نبذة عن المؤلف، توضح مسيرته الأكاديمية واهتمامه بالتاريخ، إلى جانب ملخص عن الكتاب، الذي يتناول وصفًا دقيقًا للحياة في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني، متطرقًا إلى الأوضاع الجغرافية، والبنية الاجتماعية، والنظام السياسي، إلى جانب شؤون الجيش والبحرية. كما يوضح الغلاف الخلفي معلومات النشر، مثل اسم دار النشر دار الباحث للنشر والتوزيع، بالإضافة إلى رقم ISBN وتفاصيل الاتصال بالدار."

ب _الدراسة الباطنية:

خصص الدكتور شو الفصل الأول لوصف جغرافية الجزائر، مناخها، وتربتها، مستعرضًا نشأتها وموقعها. أشار إلى أن أصولها تعود إلى نوميديا[1] القديمة وموريطانيا القيصرية، حيث أسس يوبا الثاني مدينة "سيزاريا" وأعاد ترميمها. تقع الجزائر بين خطوط عرض 29°50 و37°28 شمالًا، وخطوط طول 20° 6شرقًا و3°50 غربًا، يحدها البحر الأبيض المتوسط شمالًا، إيالة يونس شرقًا، الصحراء جنوبًا، والإمبراطورية المغربية غربًا، مفصولة عنها بحاجز طبيعي. كما تمتد سلسلة الأطلس عبر أراضيها، مشكلة تضاريس متنوعة تشمل جبال جرجرة، الأوراس، أنويل، وفيليا[2].

يصف الدكتور شو مناخ إيالة الجزائر بأنه معتدل، حيث لا تشهد المنطقة درجات حرارة شديدة في الصيف أو الشتاء، ويؤكد أنه خلال إقامته التي استمرت اثني عشر عامًا لم يلحظ انخفاضًا كبيرًا في درجات الحرارة سوى مرتين، وكان ذلك أثناء تساقط الثلوج، بينما ترتفع الحرارة عند هبوب الرياح الصحراوية.

أما الرياح السائدة، فهي تأتي غالبًا من البحر، إذ تهيمن الرياح الشرقية بين مايو وسبتمبر، بينما تسود الرياح الغربية بقية العام. ويشير إلى نوع من الرياح التي تظهر في فصلي الربيع والخريف، أطلق عليها القدماء اسم "أفريوس(Afrieus) "، بينما يعرفها البحارة بـــ"لابتش(Labetch) "، وهي رياح قوية قادمة من الجنوب الشرقي. كما يذكر أن الرياح الجنوبية الحارة لا تدوم أكثر من خمسة إلى ستة أيام متواصلة في شهري يوليو أو أغسطس، ما يجعل الأجواء خانقة، ويدفع السكان إلى رش المياه لتبريد منازلهم. في المقابل، غالبًا ما تعقب الرياح الشمالية والشمالية الغربية طقسًا جميلًا صيفًا وأمطارًا شتاءً، بينما تظل الرياح الجنوبية جافة وحارة.

---

[1]–نوميديا، إحدى الممالك الأمازيغية التابعة لروما، كانت عاصمتها قيصرية (شرشال حاليًا)، وامتدت في شمال الجزائر بين إفريقية (تونس) وموريتانيا الطنجية (شمال المغرب حاليًا). وقد حكمها الملك يوبا الثاني، الذي أرسى دعائم الثقافة الهلنستية وشيّد معالم ذات طابع كلاسيكي. ينظر: مارمول كاربخال، **إفريقيا**، ج2، تر: محمد حجي وآخرون، المعارف الجديدة، المغرب، 1989م، ص 291.وشارل أندري جوليان، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2011م، ص 138-139.

[2]- DR. SHAW: **Voyage dans la Régence d'Alger**، traduit par J. Mac Carthy, Paris, 1830, p. 08.

وبخصوص الأمطار، يشير إلى أن متوسط التساقط السنوي في مدينة الجزائر يبلغ حوالي 25 إلى 26 بوصة، إلا أن عام 1732 كان استثنائيًا، حيث وصلت كمية الأمطار إلى 44 بوصة، ما جعله عامًا مثاليًا. ويلاحظ أن الأمطار غالبًا ما تهطل لمدة يومين أو ثلاثة متتالية، يليها طقس لطيف يستمر بين 8 إلى 15 يومًا، في حين أن الأمطار نادرة صيفًا على السواحل وشبه معدومة في الصحراء[1].

يبدأ موسم الأمطار عادة في سبتمبر أو أحيانًا في أكتوبر، ما يدفع المزارعين إلى حرث أراضيهم استعدادًا لزراعة القمح والبقوليات مثل العدس والحمص، والتي تُزرع بعد أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع، على أن تُنجز هذه العمليات قبل نهاية نوفمبر[2]. أما بالنسبة لطبيعة الزراعة والمحاصيل في الجزائر، يشير إلى أن هطول الأمطار من أواخر الخريف حتى منتصف أبريل يؤدي عادةً إلى محصول وفير، مما يسمح بحصاد الغلال بين أواخر مايو وبداية يونيو[3].

أما فيما يتعلق بالإنتاج الزراعي، فيذكر أن ضواحي مدينة الجزائر تزرع مجموعة متنوعة من الخضر والبقوليات، مثل الفول، العدس، والحمص. كما يتحدث عن طريقة تحضير العدس، حيث يُطهى بأسلوب مشابه للحبوب الأخرى ليُصنع منه نوع من العصيدة ذات لون بني غامق.[4] أما عن الأشجار المثمرة، فيشير إلى انتشار أشجار النخيل في المناطق الساحلية وفي داخل المدينة، لكنه يلفت إلى أن أجود أنواع التمر تُنتج فقط في المناطق الصحراوية. ويبين أن النخيل المزروع من الفسائل يحتاج من 6 إلى 7 سنوات ليبدأ بالإنتاج، بينما تتأخر الأشجار المزروعة بالبذور حتى 16 عامًا. كما يوضح أن نجاح التلقيح ضروري لضمان جودة الثمار، وهو ما دفع السكان المحليين إلى اعتماد طرق مماثلة لتلك المستخدمة في مصر. ويذكر أن النخلة تصل إلى ذروة صلابتها في غضون 30 عامًا، وتبقى منتجة لحوالي 70 سنة، إذ توفر سنويًا ما بين 15 إلى 20 عرجونًا، يزن كل واحد منها بين 15 و20 رطلًا، قبل أن تبدأ تدريجيًا في التراجع حتى تجف وتموت بعد 200 سنة تقريبًا[5].

[1]- DR. SHAW: op.cit, p.10.
[2]-Ibid، p, 11.
[3]-Ibid، p,12.
[4]- Ibid، p,12.
[5]- Ibid p,14.

ويلتفت إلى عادة محلية تتمثل في استخراج "عسل النخل"، الذي يستخدم في المناسبات الخاصة مثل الأعراس وولادة الأطفال. يتم ذلك بقطع الجزء العلوي من النخلة القوية وحفر فجوة صغيرة فيه، ما يسمح بتجمع سائل سكري يمكن استخلاص ما بين 6 إلى 8 قوارير منه يوميًا خلال أول أسبوعين، قبل أن تتراجع الكمية تدريجيًا حتى ينضب تمامًا، مما يؤدي إلى جفاف الشجرة وموتها. ويصف هذا السائل بأنه أكثر حلاوة من العسل، لكنه يصبح حامضًا وسميكًا بمرور الوقت، ويمكن استخلاص زيت عطري منه عبر عملية التقطير[1].

أما الأشجار المثمرة الأخرى، فيوضح أن معظمها يشبه تلك الموجودة في أوروبا، مثل اللوز، الذي يزهر في يناير وينضج في أبريل، والمشمش، الذي يُقطف في مايو، بينما تظهر أنواع مختلفة من الكرز والبرقوق خلال يونيو، لكنها بكميات قليلة وجودة منخفضة. كما يتم خلال شهري يوليو وأغسطس جني التوت، الإجاص، والتفاح، لكنها أقل نكهة من نظيراتها في إنجلترا.

وتنتشر في الجزائر أشجار الجوز والزيتون، حيث تنتج محصولًا جيدًا كل سنتين، إلى جانب أشجار الكستناء، التي رغم قلة أعدادها، فإن جودتها تفوق تلك الموجودة في فرنسا وإسبانيا. أما أشجار الليمون، فهي تحمل الأزهار والثمار طوال العام، وكذلك البرتقال الحامض، في حين أن البرتقال الحلو يعد من الأشجار الدخيلة، ولا يثمر إلا في أواخر الخريف. كما يذكر وجود بعض الأشجار الأخرى مثل السفرجل، الزعرور، العناب، والغبيراء، لكنها غير مفضلة لدى السكان، إذ تُزرع غالبًا لأغراض الزينة فقط[2].

كما يصفً طبيعة التربة في الجزائر، مشيرًا إلى أنها تتميز بليونتها وتتنوع ألوانها من منطقة إلى أخرى. ففي سهول زيدور، يغلب اللون الأسود على التربة، بينما تتميز أراضي سهل متيجة ومناطق أخرى بتربة حمراء، ومع ذلك فإن جميع هذه الترب تتمتع بالخصوبة وتحتوي على الأملاح ونترات البوتاسيوم[3].

[1]- Shaw، op.cit. p p16,17 .
[2]- Ibid، p, 18.
[3] -Ibid، p، p, 19, 20, 21.

كما خصص الفصل الثاني، لوصف الحيوانات في الجزائر، حيث تناول الحشرات، الحيوانات رباعية الأرجل، الطيور، والأسماك. ويرى أن الثروة الحيوانية تشكل ركيزة أساسية في حياة العرب والموريين، حيث وصف مختلف الأنواع بدقة، وقدم أمثلة عن كل صنف[1].

الحيوانات رباعية الأرجل :يذكر شو أن الأغنام والماعز تُكمل الأبقار في الأهمية، خاصة من حيث توفير الحليب اللازم لصناعة الجبن، الذي يعد من المنتجات الاستهلاكية الأساسية في البلاد. كما يوضح طريقة تخثير الحليب، إذ يعتمد السكان، خصوصًا خلال الصيف، على أزهار الخرشف لتخميره، ثم يُصب في سلال صغيرة ويُعصر بقوة للحصول على جبن يزن ما بين اثنين إلى ثلاثة أرطال من كل سلة[2].

أما الزبدة، فيتم إنتاجها بوضع قشدة الحليب داخل جلد ماعز يُعرف بـــ"الشّكوة"، ثم يُعلق في أطراف الخيمة، حيث يتم تحريكه يدويًا حتى ينفصل الدهن، ويبقى اللبن في الداخل.

ويشير أيضًا إلى وجود نوعين من النعاج غير المألوفة في أوروبا، أحدهما شائع في المشرق وإيالة تونس، ويمتاز بضخامة ذيله. ورغم أن لحمه لا يتميز بجودة عالية، فإن ذيله يُستخدم في تحضير عدة أطباق تقليدية، وعلى رأسها طبق الكسكس.[3]

يصف شاو التنوع البيئي للصحراء، حيث توجد أنواع مختلفة من النعاج تتماثل في حجمها مع الإبل، وتتميز بصوفها الخشن المشابه لشعر الماعز، مما يجعلها أكثر قدرة على التكيف مع المناخ الحار. كما يتطرق إلى الحياة البرية، مشيرًا إلى وجود الثعبان المعروف بـــ"الزريق"، وهو سريع الحركة ونحيف الجسم، بينما تُعد الأفعى الأكثر خطورة، إذ تمتاز بجسد أكبر ولسعة أكثر سمية[4].

يشير شاو إلى وجود نوع من الطيور الشبيهة بالسمان، لكنه يتميز بريش أخضر زاهٍ وأجنحة رمادية، مما يجعله من أجمل الطيور في المنطقة. أما العقارب، فيصنفها إلى نوعين: عقارب صغيرة غير

[1]- Shaw، op.cit. p21.
[2]- Ibid، p, 22.
[3]- Ibid، p ،p، p, 42, 43, 44.
[4]-Ibid. p59.

سامة تعيش في جبال الأطلس، وأخرى ضخمة وسوداء تتواجد في مناطق الزاب والصحراء، وهي أكثر خطورة، إذ قد تؤدي لدغتها إلى الوفاة[1].

[1] - Shaw، op.cit p77.

الموارد البحرية والغذاء في وصف شاو

كما يلاحظ شاو أن السواحل الإفريقية تفتقر إلى وفرة في الأسماك، باستثناء سمك البوري، المعروف بجودته، ونوع آخر يُعرف بالفرخ الصغير، المتميز بزعنفة مرفوعة وألوان زاهية. أما عن الغذاء، فيصف تفنن العرب والموريين في إعداد الأطعمة المتبلة والمحمرة، بينما يعتمد البدو على أطعمة أكثر بساطة مثل الكسكس والمرق، في حين يتنعم الأغنياء بأصناف متنوعة من العسل، التمور، المكسرات والمربى بالنسبة للفصل الثالث فخصصه للجانب الاجتماعي والثقافي في الجزائر العثمانية يذكر شو أن المسلمين، رغم تميزهم سابقًا في الفلسفة والرياضيات والطب، أهملوا العلوم والفنون لعدة قرون، ويعزو ذلك إلى استبداد الأتراك وسوء معاملتهم، مما أدى إلى تراجع الاهتمام بالدراسة. فمعظم الأتراك، وفقًا له، كانوا منشغلين بالتجارة وجمع الأموال، بينما اقتصر التعليم على المدارس التقليدية، حيث كان الأطفال يتعلمون القراءة والكتابة باستخدام ألواح خشبية بدلًا من الورق. و لم يكن هناك اهتمام حقيقي بالمعرفة سوى بقراءة القرآن أو تعليقات سطحية عن التاريخ، في حين كانت القصص المتداولة خليطًا من الأساطير والحكايات الخيالية. ويشير شو إلى أنه حاول التعرف على العلماء، لكن عزلة السكان وصعوبة احتكاكهم بالأجانب جعلت الأمر معقدًا، حتى إن الفلكي الأول للدولة لم يكن ملمًا بأساسيات الحسابات الفلكية[1].

أما الطب، فقد كان متأخرًا، حيث كان عدد الأطباء ضئيلًا، والمسلمون، بسبب اعتقادهم بالقدر، لا يقبلون العلاجات الطبية ويلجؤون إلى الرقية والسحر. وكانت الوسائل العلاجية بدائية، فمثلًا، لعلاج داء المفاصل وذات الجنب، يتم اللجوء إلى الكي بقطع حديدية ساخنة، يليها تناول مستخلص أعشاب. كما كان يُعتقد أن سكب السمن المغلي على الجروح هو العلاج الأمثل للإصابات[2].

فيما يخص الموسيقى، يشير شو إلى أن السكان امتلكوا العديد من الآلات الموسيقية، لكنهم لم يكونوا قادرين على كتابة الألحان بشكل منظم، وكان البدو يعتمدون على لحن واحد بسيط مستوحى من بيئتهم الريفية. أما الملابس التقليدية، فقد وصف الحايك بأنه الغطاء الأساسي للعرب

[1] -Ibid pp.78, 79.
[2] _Ibid. p p.80_84.

والبربر، يُستخدم خلال النهار ويلف الجسم عند النوم، لكنه كان مزعجًا بسبب الحاجة المستمرة لضبطه. ويُرجح شو أن يكون مشابهًا لمعطف الرومان، حيث كان يُثبت بحزام عند الضرورة يذكر شو أن البرنس هو معطف يُحاك في الدواوير والمداشر[1]، يتميز بقطعة واحدة ضيقة عند العنق مع قبعة تغطي الرأس، ويشبه المعطف في اتساعه. كما تُستغل قبعة البرنس لأغراض مختلفة، مثل حمل المواد والحبوب[2].

[1] –يشير هابنسرايت إلى أن الدوار أو الدشرة في الجزائر آنذاك كان تجمعًا صغيرًا من الخيام أو المنازل البسيطة، يشبه القرى الصغيرة، هابنسرايت، **رحلة العالم الألماني ها بنسرايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس**، تر: ناصر الدين سعيدوني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2013م، ص، 57.

[2]- Shaw، op.cit.p p.89, 90.

العادات والتقاليد كما رآها شاو

يبرز شاو بعض العادات التي تعكس حسن الضيافة، مثل تقديم الماء للضيوف لغسل أقدامهم، وبقاء المضيف واقفًا أثناء تناول الضيف للطعام احترامًا له. كما يشير إلى عادة متوارثة في الأعراس، حيث يشرب الزوجان الماء من يد بعضهما كرمز للوفاء[1].

تطرق الدكتور شو في الفصل الرابع لـــ النظام السياسي والإداري في حكومة الجزائر: الداي، الأغا، الضباط، مشيرًا إلى الأموال التي كان يرسلها السلطان كرواتب للجنود. كما يناقش استقلالية الجزائر، التي تحققت في عهد بابا علي[2]، بعد انتخابه دايًا عام 1710م كما يقدم وصفًا لمراسم تنصيب الداي الجديد، موضحًا أن الانتخاب يتم بأغلبية أصوات الجيش. وعند انعقاد هذا الحدث، يجتمع الجنود في دار الداي، حيث يعلن الأغا رغبتهم في اختيار داي جديد، ويمنح كل جندي صوته[3]. بعد فرز الأصوات، يتم إعلان الفائز، ويحتفل به الجنود عبر إلباسه قفطانًا خاصًا وحمله على كرسي الحكم. ثم يتلو القاضي أمام الحاضرين واجبات الداي الجديد، مطالبًا إياه بالعمل لصالح البلاد، ومكافحة الفساد، وحماية الفقراء، وتثبيت الأسعار، وغيرها من الالتزامات. بعد ذلك، يقبل الحاضرون يده ويعاهدونه على الطاعة والولاء[4].

وفي الجانب السياسي والاداري يشير الكاتب إلى المؤامرات التي يقوم بها بعض الجنود الطموحين للاستيلاء على الحكم، والتي غالبًا ما تنطوي على الإطاحة بالحاكم القائم.[5] ففي مثل هذه الحالات، يسعى الطامح للسلطة إلى كسب دعم عدد كبير من المؤيدين، ويبقي خطته سرية حتى يتمكن من

---

[1]- Ibid p p.93, 148.

[2] –كان لعلي شاوش دور بارز في استقلال الجزائر عن الدولة العثمانية، إذ ألغى منصب الباشا الذي فرضه السلاطين على الدايات، ومنع إبراهيم باشا، مبعوث الباب العالي، من دخول الجزائر. كما تمكن من الحصول على لقب الباشا عبر الهدايا وسياسة الأمر الواقع، مما عزز استقلال الجزائر عن الدولة العثمانية. ناصر الدين سعيدون، **النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792–1830م)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985م، ص 23.

[3] _Shaw، op.cit. p p.149 ,152.

[4] _ Ibid.p.153.

[5] _Ibid.p.154

اقتحام قصر الداي. وعندما ينجح في تنفيذ عملية الاغتيال، يسارع أنصاره إلى إلباسه قفطان الحاكم السابق وإعلانه دايًا جديدًا، دون أن يجرؤ أي عضو في الديوان على الاعتراض، خوفًا على حياته.[1]

يتناول الفصل الخامس تكوين الميليشيات الجزائرية، موضحًا بنيتها، رواتب أعضائها، أساليب قتالهم، ومعسكراتهم[2].

أما الفصول السادس، السابع، الثامن، التاسع، والعاشر، فقد خصصها لوصف، معسكر، تلمسان، التيطري، وقسنطينة والزاب ويقدم وصفًا دقيقًا لكل منها، متناولًا موقعها، حدودها، وطبيعتها الإدارية. وقد أولى قسنطينة أهمية خاصة، إذ سنفرد لها لاحقًا فصلًا كاملًا بالنظر إلى ثقلها السياسي والاجتماعي في تلك الفترة.

ج_أهم المصادر التي اعتمد عليها:

اعتمد الرحالة توماس شو في جمع معلوماته عن المناطق التي زارها على ملاحظاته المباشرة، أما المناطق التي لم يتمكن من الوصول إليها، فقد استقى أخبارها من شخصيات مختلفة ذكرها في مقدمة كتابه، ومن بينهم:

السيد سانسون(Sanson) ، وهو طبيب هولندي كان أسيرًا في خدمة نائب باي قسنطينة، حيث قدّم لشو معلومات مهمة حول جغرافية مقاطعة قسنطينة[3].

الأب فرانسيسكو إكسيمنس(Pere Francisco Ximeness) ، قنصل إسبانيا في تونس، والذي زوّده ببعض التفاصيل ذات الأهمية.

السيد برنارد جيسو(Bernard Jusseau) ، الذي مكّنه من نقل نقيشة لمباز (Inscription de Lambese)[4].

---

[1] _ Ibid p ،p 182_215.

[2] – سمية صغير، ورشيدة شفعاري، **المؤسسة العسكرية الجزائرية في القرن 18 من خلال رحلة الدكتور شاو(shaw)**، L'Algérie un siècle avant L'Occupation Française au 18ème siècle مذكرة ماستر تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة ابن خلدون، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، إشراف د. بكاري عبد القادر، السنة الجامعية 2017-2018، ص30.

[3] –مصطفي خياطي، **الطب والأطباء في الجزائر العثمانية**، منشوراتANEP، الجزائر،2013، ص107،108.

[4] خميس سعدي، "الرحلات الأوروبية مصدر لتاريخ الوطن العربي: رحلة الدكتور شو أنموذجًا"، المرجع السابق، ص326.

فيما يخص مقاطعة الزاب وواد ريغ والمناطق الجنوبية لمملكة الجزائر، فقد استقى معلوماته من سكان هذه المناطق الذين التقى بهم في مدن مختلفة.

أما البيانات المناخية، فقد استند فيها إلى المعلومات التي قدّمتها البعثة الفرنسية بقيادة الرحالة بيسونال[1].(Poissonel)

في المجال التاريخي، كثيراً ما استشهد بمؤلفات لوجييه دي تاسي(Laugier de Tassy) ، صاحب كتاب "تاريخ مملكة الجزائر[2]."

وفي مجال علم النبات، تلقى مساعدة من السيد ديلينيس(Mr. Dillenices) ، أستاذ علم النبات، الذي ساعده في إعداد دليل للنباتات النادرة وغير المعروفة، والذي احتوى على 140 نوعًا مختلفًا[3].

[1] –ولد في مرسيليا عام 1694م، حيث تلقى تعليمه الأولي قبل أن ينتقل إلى باريس لمواصلة دراسته. هناك، لقي دعمًا من الكونت مارسيقلي، أحد أصدقاء العائلة، الذي وجهه نحو دراسة التاريخ الطبيعي. أبدى اهتمامًا خاصًا بعلم النبات، مما أهّله ليصبح مراسلًا لأكاديمية العلوم بباريس عام 1723م.في إطار مهمة ملكية، زار تونس والجزائر بين عامي 1724 و1725م، حيث أجرى أبحاثًا علمية متنوعة، من بينها دراسة طبيعة المرجان في السواحل الجزائرية، بالإضافة إلى بحثه في وباء الطاعون الذي اجتاح مرسيليا بين عامي 1720 و1722م وأودى بحياة والده.دوّن نتائج رحلته في كتاب بعنوان **"قصة رحلة على سواحل بربارية"**، صاغه على هيئة رسائل وجهها إلى الأب لينون. ورغم أهمية ما تضمنه من ملاحظات علمية وسياسية قيّمة، لم يُنشر هذا العمل إلا بعد مرور أكثر من قرن، حيث ظهر إلى العلن عام 1838م ينظر: حواء حنكة وعبدالقادر كركار،**"وصف الرحالة الأوروبيين للوضع السياسي في الجزائر خلال العهد العثماني"**، مجلة دراسات وأبحاث: المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 15، العدد 1، جانفي 2023، ص5.

[2] –لوجي جاك فيليب، المعروف أيضًا باسم لوجي دوتاسي(Laugier de Tassy) ، كان قنصلًا فرنسيًا في الجزائر لفترة قصيرة، حيث عُيّن رسميًا في 27 يوليو 1717، لكنه غادر بعد خمسة أشهر ونصف، مسلّمًا إدارة ديوان القنصلية لخلفه باوم. لاحقًا، شغل منصب مفوض البحرية الفرنسية في أمستردام عام 1725، وأصدر كتابه *تاريخ مملكة الجزائر* (Histoire du Royaume d'Alger) للاستزادة حول الموضوع ينظر: خالدي بلعربي، كه وردة جيلالي زورقي، "جوانب من الحياة الاجتماعية لمدينة الجزائر في كتابات القناصل الفرنسيين خلال القرن 18م: لوجي دي تاسي وسيزار فيليب فاليار نموذجًا"، المجلة التاريخية الجزائرية، مخبر تاريخ الإنسان والعمران والتراث في منطقة حوض الشلف، جامعة الشلف (الجزائر)، المجلد 07، العدد 01، 2023، ص 365-380.

[3] – خميس سعدي، "الرحلات الأوروبية مصدر لتاريخ الوطن العربي: رحلة الدكتور شو أنموذجًا"، المرجع السابق، ص326.

بهذه الطريقة، جمع شو كمًا هائلًا من المعلومات، مستنداً إلى مصادر متنوعة، ما جعل كتابه أحد أهم المراجع التي عرّفت أوروبا بشمال إفريقيا خلال القرن الثامن عشر[1].

قدّم لنا توماس شو معلومات مهمة حول أوضاع الأسرى والسجون التي احتُجزوا فيها. ورغم كونه قَسًّا مُلحَقًا، إلا أن تكوينه الأكاديمي الرفيع مكّنه من معالجة هذا الموضوع بنهج عقلاني، ما جعله أحد أبرز كتّاب عصر الأنوار[2].

[1] –خميس سعدي، نفسه، ص326.

[2] –قرباش، بلقاسم. **الأسرى الأوربيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671–1830)**، أطروحة دكتوراه، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2015–2016، ص118.

المبحث الثالث: قراءة نقدية للرحلة

لم تكن رحلة الدكتور شاو هي الوحيدة التي قدمت وصفًا دقيقًا للشرق الجزائري، فقد عاصرته عدة رحلات ومصادر تاريخية تناولت نفس المنطقة ووضعت معلومات قد تؤكد أو تتعارض مع ما ورد في رحلته. على سبيل المثال لا الحصر "رحلة الورثلاني" سنة1197هـ 1768م.

التي كانت واحدة من تلك الرحلات التي عاصرت فترة وجود شاو في الجزائر. في هذا المبحث، سنتناول مقارنة بين رحلة شاو ورحلة الورثلاني وبعض المصادر الأخرى التي قد تكون توافقت أو تعارضت مع تفاصيل ما قدمه الدكتور شاو، بهدف تقييم مدى دقة المعلومات وموثوقيتها.

1_اهم الرحلات التي عاصرته:

قدّم الورثلاني في رحلته وصفًا شاملًا لمدينة قسنطينة، فذكر ما شاهده فيها من مظاهر متعددة. وصف موقعها الحصين، وأسوارها القوية، وأبوابها الثلاثة. كما أشار إلى وادي الهوى، لكنه لم يميّزه كثيرًا، بل اعتبره مجرد وادٍ عادي، بخلاف بعض الرحّالة الآخرين. وتحدّث أيضًا عن أسواق المدينة، وما فيها من حركة تجارية نشطة. أما من الجانب الاجتماعي، فقد أشار إلى بعض المظاهر السلبية مثل انتشار الفسق والفجور في بعض الأوساط. كما تطرّق إلى الحياة الفكرية والعلمية، ووصف المباني والعمران، خاصة في فترة صالح باي، حيث شهدت المدينة ازدهارًا ملحوظًا. و لم يغفل الجانب الديني، فتحدّث عن التصوّف، وبدوره التمس البركة من الأولياء والصالحين والدراويش[1].

إلى جانب ذلك، تزامنت رحلته مع رحلات أوروبية مهمة مثل بايسونال (1725-1724)، الذي درس الطبيعة والنظام السياسي، ودي فونتين [2](1786-1783)، الذي ركّز على النباتات والزراعة، مما أسهم في توثيق جوانب مختلفة من المنطقة خلال العهد العثماني.

---

[1] – الحسين الورثيلاني، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت،1974، ص686.

[2] – **رينيه لويش دي فونتين (1750-1833)** كان عالم نبات فرنسي وأحد رواد الفكر البرجوازي والملكية المعتدلة، حيث رأى في الاستقرار السياسي ضرورة للتقدم الاقتصادي. بصفته عضواً في أكاديمية العلوم وأستاذًا لعلم النبات في **حديقة الملك**، أُوفد في بعثة علمية **إلى إيالة الجزائر وتونس** بين عامي 1783 و1786، حيث ركّز على دراسة النباتات والبيئة الطبيعية والزراعة في المنطقة.خلال رحلته، جمع دي فونتين **مجموعة كبيرة من الأعشاب والنباتات،** التي تم حفظها لاحقًا في متحف العلوم الطبيعية بباريس، واستخدمها لاحقًا في تأليف كتابه **"نباتات الأطلس** ."عن مشروعه هذا، أوضح أنه كان يهدف إلى دراسة **الجغرافيا القديمة** وعادات السكان، إضافة إلى التاريخ الطبيعي، معتبراً أن تلك المناطق لم تحظَ بزيارات سابقة من علماء الطبيعة.حصل دي

يعد كتاب رحلة على السواحل البربرية. Relation d'un voyage sur les côtes de Barbarie

مصدرا مهمًا لدراسة شمال إفريقيا خلال القرن الثامن عشر، حيث يجمع بين الملاحظات العلمية والتاريخية والجغرافية. ينقسم الكتاب إلى جزأين :الأول يحتوي على ملاحظات العالم الفرنسي بايسونال، والثاني للعالم دي فونتين، نظرًا للتشابه في ملاحظاتهما حول المنطقة، رغم اختلاف أسلوبيهما، إذ اعتمد بايسونال على الوصف المباشر، بينما تميز دي فونتين بالتحليل وإبداء الرأي.

جاءت رحلة بايسونال إلى الجزائر وتونس عام 1724بأمر ملكي بهدف دراسة التاريخ الطبيعي، حيث ركّز على أبحاث المرجان وانتشار الطاعون، وهو المرض الذي أودى بحياة والده في مرسيليا بين .1722-1720في البداية، اعتقد أن المرجان معدني، ثم صنّفه كنباتي، لكنه توصل لاحقًا إلى أنه كائن حي، وهي فرضية لم تحظَ بقبول علمي إلا بعد سنوات من البحث والإقناع.

لم تقتصر أهداف الرحلة على الدراسات الطبيعية، فقد كتب بايسونال في رسالة إلى الأب بنيون أن مشروعه يشمل دراسة النباتات والحيوانات، الأمراض وطرق علاجها، الجغرافيا القديمة والحديثة، اللغة العربية، النقوش، الأوسمة والتماثيل، إضافةً إلى الفنون والأدب.

نُشرت ملاحظاته ضمن كتابه، الذي يضم سبعة فصول، حيث يتناول الفصل السادس رحلته بين الجزائر، قسنطينة، وبونة، بينما يركز الفصل السابع على القالة، مشيرًا إلى مستنقعاتها غير الصحية، إضافةً إلى صيد المرجان وأهميته الاقتصادية.

أما بالنسبة لـــدي فونتين، فقد تناول في الفصل الثامن دراسة عن جزيرة طبرقة، حيث استعرض أوضاعها الاقتصادية والتجارية. وركز في الفصل التاسع على النباتات الاقتصادية التي تنمو في تونس والجزائر، بينما خصص الفصل العاشر للحديث عن أشجار السنديان والصمغ، موضحًا أهميتها في الاقتصاد المحلي.[1]

فونتين على دعم رسمي وتسهيلات **من القنصل الفرنسي في الجزائر، دي كيرسي،** مما مكّنه من التنقل بحرية داخل **تونس والجزائر وحتى حدود طرابلس والمغرب** .كما تلقى تمويلًا من أكاديمية العلوم، التي وافقت على مشروعه وأيّدته.

[1] –أ.كشرود حسان، "**بايلك الشرق: دراسة طبيعية وزراعية من خلال الرحالين بايسونال ودي فونتين والدكتور توماس شاو**"، المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار – جامعة قسنطينة، مجلة قضايا تاريخية، العدد **6**، سنة **1438هـ/2017م**، ص،ص **50،51.**

2_نقد وتقييم: يُعَدُّ كتاب "رحلة الدكتور شو" مصدراً مهماً لتاريخ الجزائر في العهد العثماني، حيث يتناول بعمق مختلف الجوانب الطبيعية والجغرافية. اتسم المؤلف بالدقة في تسجيل ملاحظاته، متحريًا الموضوعية، ومتجنبًا التضليل والخرافات، مما منح كتابه قيمة علمية متميزة[1].

تناولت الرحلة وصف المناخ، الثروات الطبيعية، الزراعة، والحياة الحيوانية، حيث استند شو إلى منهجية دقيقة في تسجيل ملاحظاته[2]، مما جعلها ذات فائدة كبيرة للباحثين في مختلف المجالات[3]. ومن بين أبرز مميزات هذه الرحلة أنها جاءت نتيجة إقامة طويلة للمؤلف في الجزائر امتدت إلى 12 سنة، مما أتاح له فرصة الاحتكاك بشرائح المجتمع المختلفة والتنقل بين المناطق، ما جعله شاهداً مباشراً على الأوضاع السائدة في ذلك الوقت.

تميز شو بترتيب ملاحظاته وفق عناوين واضحة ومنظمة بدلاً من اتباع التسلسل الزمني لرحلاته، مما أضفى على كتابه طابعًا منهجيًا متوازنًا. كان هدفه الأساسي تقديم معلومات دقيقة للقارئ، مع الالتزام بالموضوعية والجودة العلمية[4]. ويؤكد صاحب كتاب "الجزائر وأوروبا" على أن توماس شو أظهر قدرة فائقة على الملاحظة تفوق العديد من الرحالة الذين أوفدتهم حكوماتهم لدراسة أحوال الجزائر[5].

ونظراً لأهمية هذا العمل، فقد تمت ترجمته إلى عدة لغات، منها الفرنسية والألمانية، كما أعيدت قراءته من قبل العديد من الباحثين الإنجليز[6]. ومع ذلك، فإن كتاب شو لم يتناول بشكل معمق الحياة

---

[1]- Nedjma Benachour -Tebbouche, **Constantine et ses écrivains voyageurs,** op.cit , p, 41.

[2]- Denis Brahimi, **Opinions et regardes des européens sur le Maghreb au XVI ème et XVII ème siècle,** SNED, Alger, 1978, p139.

[3]-Nedjma Benachour-Tebbouche, **Constantine et ses écrivains voyageurs** op.cit, p.41.

[4]- Denise Brahimi, **Opinions et regardes des européens sur le Maghreb au XVI ème et XVII ème siècle,** op.cit, p, 139.

[5] – جون وولف، **الجزائر وأوروبا (1500–1830م)**، تر وتق: أبو قاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986، ص466.

[6] – عبد الله ركيبي **الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز**، دار الكتاب العربي، الجزائر، ص 145.

السياسية والإدارية في الجزائر، كما لم يقدم تحليلًا دقيقًا للتركيبة الاجتماعية لسكان البلاد، بل اكتفى بالإشارة إلى بعض الفئات دون الخوض في تفاصيل أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية[1].

لم يسلط شو الضوء على حياة الأقليات الدينية، مثل اليهود والمسيحيين، كما لم يتطرق إلى أوضاع العرب والإباضيين وسكان المناطق الداخلية. أخطأ في تقديره لبنو مزاب، إذ اعتبرهم على غير ما هم عليه، فهم من أتباع المذهب الإباضي.

كذلك، لم يهتم كثيراً بوصف الأعياد والمناسبات، و لم يتناول بالتفصيل مظاهر الحياة اليومية كظاهرة تعدد الزوجات، أو الحمامات والمدارس، أو أوضاع العبيد، كما فعل غيره من الرحالة.

أورد الرحالة "شو" قائمة غنية بأنواع الخضروات التي تُزرع في إقليم الجزائر، إلا أنه لم يتطرّق بشكل دقيق إلى مواقع زراعتها. الاستثناء الوحيد في وصفه كان الإشارة إلى انتشار زراعة البطاطا وبعض الخضر البعلية الجافة على ضفاف الأودية وبالقرب من "فحوص" المدينة، وهي المناطق الريفية المحيطة بها. ويُحتمل أن غياب التفاصيل الجغرافية الدقيقة في روايته يعود إلى صعوبة الوصول إلى تلك الأراضي، وربما إلى تحفظ السكان المحليين ومنعهم الغرباء من دخول مزارعهم، ما حال دون تمكّنه من جمع معلومات أوسع حول توزع المزروعات ومناطق تركزها[2]

وصف شاو التنوع البيئي للصحراء، ويشير إلى وجود نعاج ضخمة الحجم يُشبهها بالإبل، وتتميّز بصوف خشن كصوف الماعز. غير أن هذا الوصف يثير تساؤلات حول دقّته العلمية، خاصة من حيث مقارنة الحجم، إذ لم يُثبت في أي مصدر علمي موثوق وجود نعاج تضاهي الإبل حجمًا، ما يُحتمل أن يكون مبالغة ناتجة عن الانبهار بالبيئة الجديدة أو عن ضعف في دقة الملاحظة.

من الملاحظات المنهجية التي يمكن تسجيلها على المؤلف، اعتماده الملحوظ على التسميات الجغرافية التي تعود إلى العصور القديمة، كالفترة الرومانية أو الوسيطة، دون أن يُعير الاهتمام الكافي

---

[1]– أحميدة عميراوي، **الجزائر في أدبيات الرحلة والاسر خلال العهد العثماني مذكرات تيدنا أنموذجا**، دار الهدى الجزائر، 2009م، ص10.

[2] –أ كشرود حسان، "**بايلك الشرق: دراسة طبيعية وزراعية من خلال الرحالين بايسونال ودي فونتين والدكتور توماس شاو**"، المرجع السابق ص56.

للتسميات المعتمدة خلال العهد العثماني، والتي تُعد أكثر ارتباطًا بسياق الدراسة. وإن وُجدت إشارات إلى هذه التسميات العثمانية، فهي غالبًا عابرة وخالية من التوضيح اللازم. وكان من الأجدر، في إطار الدقة التاريخية والانسجام الزمني، أن يتم توثيق الأسماء المستعملة خلال الفترة العثمانية التي يتناولها البحث، باعتبارها تمثل الإطار الزمني الأساسي للدراسة.

وقد يُعزى هذا الميل إلى استخدام التسميات القديمة وتجاهل التسميات العثمانية إلى الخلفية الشخصية للكاتب، إذ يُعرف عنه كونه كاهنًا ذا نزعة ثقافية تميل إلى تمجيد التراث الروماني الذي ينتمي إليه عِرقيًا وحضاريًا، مقابل نظرته السلبية تجاه العرب والمسلمين. هذا الانحياز الثقافي يمكن أن يُفسّر سبب تغليبه للمرجعيات الرومانية في تسمية المواقع الجغرافية، حتى في سياقات تاريخية لا تنتمي إلى تلك الحقبة، مثل العهد العثماني.

من المهم الإشارة إلى أن شو نظر إلى المجتمع الجزائري من منظور استشراقي، حيث تأثر بانتمائه الديني، مستخدمًا مصطلح "المحمديين" عند الإشارة إلى المسلمين، كما أنه تجاهل المصادر الإسلامية واستعاض عنها بمقارنات مع التاريخ الإغريقي والروماني، واعتمد على الروايات التوراتية والإنجيلية في وصفه للعادات والتقاليد.ورغم هذه التحيزات، فإن الكتاب

يزودنا ببعض المعلومات المهمة حول اهتمام الجزائريين بتعليم أبنائهم، وتقديرهم للفنون والهندسة المعمارية، إضافةً إلى عاداتهم الغذائية وتفاصيل حياتهم اليومية.كما يسلط الضوء على نظرتهم للأجانب، وعاداتهم في مراسم الجنازات والمآتم[1].

لقد سمحت له إقامته الطويلة في الجزائر برصد مختلف جوانب الحياة فيها، خاصةً في المناطق الشرقية التي حظيت باهتمامه الأكبر بسبب مساحتها الواسعة وتركيبتها القبلية المعقدة. وقد حاول شو إبراز الاستغلال العثماني للجزائر من خلال تسليط الضوء على الضرائب المرتفعة، ووصف المجتمع المحلي بأنه يفتقر إلى التعليم ويمارس حياته ببساطة شديدة.يؤكد ناصر الدين سعيدوني أن

[1] مراد تاجنانت، محمد زرقون، **"آراء وملاحظات الرحالة البريطاني توماس شو حول حياة سكان حواضر الجزائر خلال القرن الثامن عشر ميلادي (1720-1732)"**، المرجع السابق، ص246.

شو، إلى جانب رحالة آخرين مثل كاثكارت[1] وبفايفر[2]، كان أكثر اتزانًا وموضوعية مقارنة بغيرهم من رجال الدين التبشيريين الذين قدموا صورة مشوهة عن الجزائر[3].

[1] -جيمس ليندر كاثكارت (1767-1843)، أسير أمريكي لدى الجزائريين لأكثر من عشر سنوات، ارتقى إلى منصب مدير مكتب الداي حسن باشا، حيث لعب دورًا هامًا في المفاوضات الدبلوماسية بين الجزائر والولايات المتحدة، ووثّق ذلك في مذكراته التي تُعد مصدرًا مهمًا لدراسة العلاقات الثنائية والتنافس الأوروبي في المنطقة.ينظر كل من: جيمس ليندر كاثكارت، **مذكرات أسير الداي وقنصل أمريكا في المغرب**، ترجمة إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 13.وعلي تابليت، **بحوث في تاريخ الجزائر: الفترة العثمانية**، الجزء الأول، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2013.وأحميدة عميراوي، **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2005، ص 37 و أحميدة عميراوي، **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسرى خلال العهد العثماني: مذكرات تيدنا أنموذجًا**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003، ص 26.

[2]-جورج سيمون فريدريك بفايفر (حوالي 1810-1830)، طبيب ألماني أُسر في الجزائر عام 1825 وعمل طبيبًا في قصر الخزناجي، وكان الوحيد الذي عالج الجرحى خلال الاحتلال الفرنسي. وثّق تجربته في كتابه رحلاتي في سنوات أسري الخمس في الجزائر (1832)، حيث تناول الحياة السياسية والعسكرية، خاصة المقاومة الجزائرية والتداعيات التي رافقت الاحتلال الفرنسي ينظر: سيمون بفايفر، **مذكرات لمحة تاريخية عن الجزائر**، تر وتق: أبو العيد دودو الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص ص 4-5 وينظر أيضا: محمد حمودي، "استراتيجية الترجمة عند أبي العيد دودو"، مجلة حوليات التراث، ع5، 2006، جامعة مستغانم، من 84.

[3]-ناصر الدين سعيدوني، "الرحلات الاستكشافية مقاربة فكرية وحضارية الرحلات الأروبية في الجزائر أنموذجا"، قضايا تاريخية (3) ص ص64-73 وللاستزادة ينظر: آمنة فاطمة زهرة العيايدة،"أهمية المصادر الغربية في كتابة تاريخ الجزائرالحديث 1519-1830 (دراسة نماذج) "، المرجع السابق، ص108.

وبناءً على ما سبق، يمكن استخلاص أهم ملامح الفصل على النحو الآتي:

تُظهر قراءة رحلة توماس شاو ضمن السياق العام للرحلات المعاصرة له تنوعًا في الرؤى والمناهج، وتكشف عن كيف صور الرحالة هذه الايالة من زوايا متعددة. وقد ساهمت المصادر التي اعتمد عليها، إلى جانب ملاحظاته الميدانية، في تشكيل صورة متكاملة عن المنطقة من وجهة نظره. ومن خلال المقارنة مع كتابات رحالة آخرين، تتضح بعض السمات المشتركة، إلى جانب الاختلافات في التركيز والأسلوب، وهو ما يسمح بفهم خصائص الكتابات الجغرافية والوصفية خلال تلك الفترة.

الفصل الثالث :بايلك الشرق في عيون الدكتور شاو 1132و1145 هـ 1720 و1732 م

المبحث الأول: المعالم الجغرافية والطبيعية في وصف شاو

المبحث الثاني: التنظيم العسكري والنشاط الاقتصادي

المبحث الثالث: البنية الاجتماعية والوضعية الدينية للإقليم

لا يمكن فهم واقع بايلك الشرق الجزائري خلال العهد العثماني بمعزل عن وصف الرحالة والمصادر الأجنبية، ومن بينها ما دوّنه الطبيب البريطاني "شو"[1] خلال زيارته للإقليم حيث يشير قنصل الولايات المتحدة الأمريكية في الجزائر خلال الفترة ما بين 1816 و1824 إلى المكانة التي يحظى بها الدكتور شو في مجال الجغرافيا، حيث يؤكد أن" شو يُعدّ المرجع الأهم فيما يتعلق بحدود وامتدادات مملكة الجزائر، بل ويعرف في هذا المجال أكثر من أي جغرافي آخر".[2] لقد قدم هذا الأخير بمشاهدات دقيقة، وإن كانت محكومة بخلفيته الثقافية والدينية، حول جغرافية الإقليم وحدوده، ونمط الحياة السائد فيه، ما يتيح لنا فرصة تحليلية لفهم طبيعة التنظيم العام للبايلك.

في هذا الفصل، سنحاول التعرّف على الجوانب المختلفة التي تميّز بها بايلك الشرق. نبدأ بدراسة الحدود والتضاريس الطبيعية التي أثّرت في التحركات العسكرية والتجارية، ثم نتناول النشاط الزراعي والتجاري، ونتوقف عند المنشآت العسكرية مثل الحصون والحاميات. كما سنسلط الضوء على الحياة الاجتماعية والدينية للسكان. وقد اعتمدنا في ذلك على ما كتبه الدكتور شو في رحلته، مع مقارنة ما ذكره بمصادر عربية وأجنبية أخرى، بهدف تقديم صورة أكثر توازنًا.

المبحث الأول: المعالم الجغرافية والطبيعية في وصف شاو

أ. الحدود السياسية والطبيعية:

اعتمد الرحالة شو (Shaw) في القرن الثامن عشر على خريطة حدد من خلالها بدقة الحدود الجغرافية لبايلك الشرق، موضحًا أن الإقليم يمتد على مسافة 95فرسخًا (حوالي 380 كلم) من الشرق إلى الغرب، و 58فرسخًا (232 كلم) من الشمال إلى الجنوب كما أن الساحل الممتد من دلس إلى بونة يتميّز بطبيعته الجبلية الوعرة، وهو ما يبرّر تسميته بـــ"العدوة العليا" وفي المناطق

[1] ـــينظر الملحق رقم (05).

[2] ـ وليام شالر، **مذكرات وليام شالر، قنصل أمريكا في الجزائر 1816–1824** .ترجمة إسماعيل العربي. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص. 27.

الداخلية، التي تمتد من مقاطعة الجزائر إلى إيالة تونس، يتنوع السطح بين تلال وسهول، وأشار شو إلى أن هذه المناطق أكثر غزارة في الأمطار مقارنة بإقليم الزاب[12].

يحدّ المنطقة من الجهة الغربية واد بوبراق، وعلى بُعد فرسخ من مجراه، تنتصب على ضفاف البحر مدينة دلس، أو تادلس، المشيّدة على أنقاض مدينة عريقة، كانت شاهدة على حقب تاريخية غابرة[43].

بالمقابل، أعطى الرحالة الفرنسي بايسونال(Peyssonnel) ، الذي زار الجزائر خلال عامي 1724 و1725، تقديراً مختلفًا لامتداد البايلك، مشيراً إلى أن أطرافه تمتد من الشرق إلى الغرب على مسافة 100ميل فقط (حوالي 185 كلم)، مما يدل على اختلاف في التصور الجغرافي للمنطقة[5].

أما المؤرخ التونسي، فقد ركز على البعد السياسي، معتبراً أن معاهدة مبرمة بين سنتي 1614 و1628 قد حدّدت وادي صرّات كخط فاصل بين الجزائر وتونس، وهو ما يعطي بعداً قانونيًا لتحديد الحدود الشرقية للإيالة الجزائرية[6].

ويُستنتج من هذه الآراء المتباينة أن حدود بايلك الشرق لم تكن ثابتة، بل كانت تخضع لتغيرات سياسية وظرفية .وقد عبّر عن ذلك نوشي بوصفه لها بأنها "حدود غير ثابتة"، بل وصفها كذلك بأنها "حدود بشرية" ناتجة عن التفاعل الاجتماعي أكثر منها حدوداً سياسية دقيقة بالمعنى الإداري الحديث[7].

---

[1] -ينظر الملحق رقم(06).

[2]_ Thomas Shaw، Op. Cit. p325.

[3]_ Ibid. p.325 .

[4] -ينظر الملحق رقم(07).

[5]- Peyssonnel, et, Desfontaines, **Relation d'un voyage dans les Régences de Tunis et d'Alger Gide**, Paris 1838, p-p. 292-293.

[6] -ابن أبي دينار، **المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس**، تحقيق محمد الشمام، المكتبة العتيقة، تونس 1961، ص. 184.

[7]- Noushi (A.), **Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquête jusqu'à 1919**, Paris 1961, p. 15.

عزا ذلك إلى وجود سلطة محلية قبلية تمثلت في شيوخ يتحكمون في تحركات القبائل ومجال امتدادها، حيث لعبوا دور الوسيط بين الباي وسكان الأرياف. وقد ساهم هذا الوضع في جعل الحدود المشاعة غير مستقرة، إذ تأثرت بطبيعة القيادات المحلية وأسلوب حكمهم، مما أدى إلى بروز نزاعات بين القبائل المقيمة على الحدود الشرقية للبايلك، خاصة حول النفوذ، وأحقية دفع الضرائب، والانتماء السياسي سواء للبايلك الجزائري أو للإيالة التونسية[1].

وفي هذا السياق، يضيف الباحث محمد بجاوي حسين بعداً سوسيولوجيًا مهمًا لتحليل الحدود الشرقية، حيث ربطها بـــمواطن القبائل وتنقلاتها[2]، معتبراً أن هذه الحدود كانت في كثير من الأحيان تنعكس تبعًا لحركة واستقرار المجموعات القبلية أكثر من كونها مرسومة بشكل إداري أو عسكري صارم[3]. وهذا ما يتقاطع مع فكرة الحدود المتحركة والمرنة التي تعتمد على النفوذ الاجتماعي لا على الخطوط الجغرافية الثابتة.

يواصل شاو وصفه لدلس[4] التي تقع عند سفح جبل شامخ من الجهة الشمالية الشرقية، وتمتد على طول الساحل المحاذي للجبل، ومن أعالي الجبل في جهته الغربية، تظهر للعيان بقايا سور قديم وأطلال متناثرة، تدلّ على وجود معالم أثرية ذات قيمة تاريخية. أما الصور الملتقطة من أعلى الميناء، فتُظهر بوضوح تمثال العذراء شامخًا في موضعه، كشاهد على تداخل الأزمنة وتعدد الحضارات التي

[1] -Thomas Shaw، Op. Cit. p326.

[2]- Bedjaoui (Md.), **La révolution algérienne et le droit,** Edit. De l'association internationale des juristes démocrates, Bruxelles 1961.

[3] -ينظر: عميراوي احميدة، **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس وأواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، دار البعث، ص15.

[4] -أعرق المدن الساحلية في الجزائر، فقد وُصفت بأنها "لؤلؤة البحر الأبيض المتوسط" منذ تأسيسها في القرن الثاني قبل الميلاد على يد الفينيقيين، واعتُبرت من أقدم المرافئ، كما لقّبها الباحث فوزي سعد الله بـــ"الأندلس المنسية"، بينما أشار المؤرخ محمد لمين بلغيث إلى أنها كانت محطة لوصول موجات من المنفيين المسلمين من فالنسيا عبر تونس، وهو ما يؤكد على دورها التاريخي كميناء وحاضرة ذات طابع متعدد الحضارات كردين، سهيلة. "مدينة دلس العتيقة: دراسة تاريخية وأثرية"، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 08، العدد 03، 2024، ص2.

مرّت بالمنطقة، يُعاني الميناء الكبير في المدينة من ضيق المساحة، ما يجعله عرضة للرياح الشمالية الشرقية، مما يحد من فعاليته كميناء آمن للسفن. على الساحل الجنوبي الشرقي، توجد آثار صخرية ضيقة تعمل كحاجز طبيعي يخفف من تأثير الأمواج[1].

أما دلس، فهي مدينة تاريخية هامة تقع على بُعد 12 فرسخًا من تمنفوس، ويظهر ذلك بوضوح من خلال بقايا الآثار المتناثرة في المدينة، بالإضافة إلى الطرق التي تعكس نشاطها التجاري والحضاري[2].

إلى الجنوب من دلس، وعلى مسافة فرسخين، تقع القرية الرئيسية للشرفة، إلى جانب قرية تاكسبت التابعة لمنطقة فليسة وبعيدًا قليلاً عن الساحل، على بُعد أربع فراسخ، يظهر الميناء الصغير "أزفون "أو ما يُسمى مرسى الفحم، حيث تظهر بعض الأطلال القديمة بالقرب من الساحل[3].

وعلى بُعد ثلاثة فراسخ من دلس، يوجد واد سيدي أحمد بن يوسف، ومنطقة دشرة كسيلة المجاورة. وبعد مسافة أخرى تقدر بثلاثة فراسخ، نصل إلى منقار أما على بُعد خمسة فراسخ، فتوجد جزيرة الصخور، بالقرب منها الصخرة المثقوبة التي كانت مقصدًا للرهبان الإسبان في العصور الماضية للتأمل.

بالقرب من هذه الصخرة، يتواجد ميناء بجاية، الذي يُعتبر أكبر من ميناء وهران في الحجم والقدرة على استقبال السفن[4].

ب، التضاريس:

[1] -Thomas Shaw، Op. Cit. p326.
[2].- Ibid. p326.
[3]_ Ibid. pp326 ,327.
[4]- Ibid .pp327 ,328.

أما فيما يخص التضاريس فالرحالة بايسونال، ركز على صعوبتها في المناطق الساحلية الشرقية مثل بجاية، مشيراً إلى أنها وعرة وغنية بالغابات[1]، وهو ما منحها بعداً استراتيجيًا سواء من حيث الحماية الطبيعية أو الموقع الاقتصادي[2].

بينما يقدّم كل من العنتري وديفونتين وصفين متكاملين لطبيعة بايلك الشرق الجزائري، حيث ركّز العنتري على الطابع العام للإقليم باعتباره في غالبه جبليًا، تتقاطع فيه سلسلتا الأطلس التلي والصحراوي عند جبال الأوراس، مع وجود بعض الأحواض والسهول المحدودة، مما يعكس طبيعته الوعرة وتنوع تضاريسه[3]. في السياق نفسه، يعمّق ديفونتين هذا التصور من خلال وصفه التفصيلي لمدينة قسنطينة، التي تمثل نموذجًا مصغرًا لهذا الطابع الجغرافي، إذ تقوم على صخرة شاهقة تحيط بها أودية عميقة مثل وادي الرمال، وتتصل جنوبًا بسلسلة جبل شطابة[4]، ما يبرز موقعها الدفاعي الطبيعي ويجعل منها تجسد فعليًا طبيعة الإقليم الجبلية والحصينة التي أشار إليها العنتري[5].

---

[1] – ركز الحكام الأتراك على استغلال الثروة الغابية في مناطق بجاية وجيجل لتأمين الخشب اللازم لصناعة السفن، مع فرض سيطرتهم على المناطق الجبلية الوعرة وضمان سلامة الحاميات العسكرية وقوافل الضرائب، وذلك عبر تنظيم مصلحة الكراستة وإنشاء مرافق لشحن الأخشاب بميناء بجاية ينظر: د. لخضر بوطبة، "غابات منطقتي بجاية وجيجل ودورها في تدعيم قوة الأسطول الجزائري خلال العهد العثماني"، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، العدد 5، ديسمبر 2017، ص.48_49 وللاستزادة حول هذا الموضوع ينظر:

Moulay Belhamissi : **Histoire de la marine Algérienne, (1516-1830) ,**2e édition, ENAL, Alger, 1986, p114.

[2]- Peyssonnel، Op. Cit. p334

[3] _محمد الصالح بن العنتري، **فريدة المنسية في حال دخول الترك على بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها،** المصدر السابق، ص. 17.

[4] _Desfontaines، Op. Cit. 337.

[5] –أحمد لصالح بن العنتري، **فريدة المنسية،** المصدر السابق، ص17.

من خلال هذه الروايات، نفهم أن تضاريس بايلك الشرق لعبت دوراً مهماً، فهي ساعدت في حماية الإقليم بشكل طبيعي، وأثّرت على طرق التنقل واستقرار السكان، كما ساهمت في رسم الحدود بين المناطق والقبائل.

المبحث الثاني: التنظيم العسكري والنشاط الاقتصادي

أ. الحاميات العسكرية والتنظيم الدفاعي:

أما مدينة بجاية[1]، فقد أُنشئت فوق أنقاض مدينة قديمة مشابهة لتلك التي تأسست عليها دلس، حيث تتمتع المدينة بموقع استراتيجي مماثل لا يزال جزء من الأسوار القديمة قائماً، بينما يظل قصر محصن يرتفع في أعلى نقطة منها. إلى جانب ذلك، نجد قصرين آخرين في الأسفل[2]، مهمتهما حماية الميناء والدفاع عنه. وتظهر على جدران أحد القصور آثار القنابل المدفعية التي خلفتها الحملة التي.

[1] –تعرف قديماً باسم "صولداي، ينظر: لوران شارل فيرو، **تاريخ بجاية**، ترجمة: صالح بخوش، تقديم: البروفيسور جميل عيساني، دار تلانتيقيت للنشر، بجاية، 2020، ص17، أما المؤرخ **ابن خلدون** فيُرجع أصل التسمية إلى **قبيلة بربرية** كانت تقطن المنطقة، ويُقال إن اسم "بجاية" بالعربية يقابله "فاكوث" بالأمازيغية. كما يُعتقد أن التسمية تعود إلى **قبيلة صنهاجية** استقرت في المنطقة، وأن اسمها العربي اشتُق من كلمة "بقايا ."وفي العهد الحمادي، أُطلق عليها اسم **الناصرية** نسبة إلى **الناصر بن علناس** مؤسس المدينة في شكلها الجديد.

أما في العصور اللاحقة، فقد سمّاها **البحارة الإيطاليون** بـــ **بوجيا (Bougia)** أو **بوزيا(Bouzia)** ، وهو الاسم الذي تبناه **الاحتلال الإسباني**، ومنه اشتُق الاسم الفرنسي **Bougie**، والذي يعني "شمعة" بالفرنسية، نظراً لما اشتهرت به المدينة من صناعة الشموع، ينظر: فؤاد بوزيد، ليلية عبدلي، "المدن الجزائرية خلال العصر الوسيط: تاريخ وآثار مدينة بجاية أنموذجاً"، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، معهد الآثار – جامعة الجزائر 2، المجلد 9، العدد 1، 2025، ص ص. 206–219.

[2] -Thomas Shaw ،Op. Cit. p.329

قادها سبراق [21] تحتوي هذه المدينة على موقع عسكري يضم ثلاث جنود مشاة، ويبعد مسافة 34 فرسخًا عن دلس[3].

وفي الجهة الشرقية من المنطقة تقع جيجل، التي تضم حامية تركية بسفرة واحدة، يليها شرقًا عدد من البايلكات الصغيرة وصولًا إلى القل التي تحتضن حامية بحرية، في حين توجد بعنابة أيضا حامية تركية أو قصر مكوّن من ثلاث سفرات[4].

تمتد المنطقة من سكيكدة إلى عنابة، وتتميز بتضاريسها المتنوعة؛ حيث تسكن الجبال قبائل جبلية، في حين تُستغل سهول "مَفْرَق" في الزراعة من قبل سكان بونة[5].

في المقابل تمتاز المساحة الممتدة بين "مفرق" والغابات، فتُقيم فيها قبائل بدوية تُعرف بممارستها لعمليات السطو، شأنها في ذلك شأن سكان المناطق الحدودية. وتخضع هذه القبائل أحيانًا للنفوذ التونسي، حيث تدفع لهم الضرائب في بعض السنوات[6].

في شمال إقليم الشرق، أنشأ العثمانيون برجًا وزمالة كإجراء دفاعي لصد هجمات الزواوة، الذين يُعدّون من أكبر وأغنى القبائل في المنطقة. يتوزع الزواوة على عدد كبير من المداشر، ويشتهرون

---

[1]- Thomas Shaw ،Op. Cit.pp331.333.

[2] -في سنة 1671م، شن القائد البحري البريطاني إدوارد سبراق هجومًا على مدينة بجاية، تمكن خلاله من إحراق اثني عشر مركبًا كانت قد احتمت بأحد الخلجان لتفادي القصف المدفعي. وقد أثار هذا العدوان استياءً واسعًا لدى سكان المدينة، الذين ردّوا عليه باقتحام القنصلية الإنجليزية وتخريبها، ثم أقدموا على اعتقال الممثل القنصلي وأفراد بعثته حيث جرى احتجازهم داخل أحد سجون المدينة،ينظر: صغير عبلة، **الحملات الأوروبية على مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني (1189-1246هـ / 1775 -1830م)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، 2013-2014، ص 34.

[3] -Thomas Shaw ،Op. Cit، pp334.343.

[4]- Ibid.p p344.

[5] -Ibid.p345.

[6]- Ibid.p346.

بمقام سيدي حمد بن دريس، الذي يقصده نحو 500 طالب علم. ومن بين أبرز مراكزهم إمارة كوكو، التي تتخذ من قرية بورنان، الواقعة في أعالي الجبال، مقرًا لسلطتها[1].

وفي سياق جهود العثمانين لفرض السيطرة على المنطقة حاولوا في فترات معينة إنشاء قوة خاصة للسيطرة على الزواوة[2]، إلا أنهم اضطروا في النهاية إلى التخلي عن تلك المحاولة[3]. يمتلك الزواوة قوة عسكرية تُقدّر بثلاثة آلاف فارس وألف وخمسمائة حصان، إضافة إلى عدد كبير من المداشر، ويُعرفون بامتلاكهم لأفضل الأسلحة النارية في الإقليم. وتُعد قبيلة بني عباس من أغنى قبائلهم، إذ تسيطر على أهم الطرق المؤدية إلى قسنطينة[4].

[1] - Thomas Shaw، Op. Cit. p346.

[2] _يرى بعض الباحثين أن أصل تسمية "زواوة" يعود إلى كلمة "أقاوا" في اللغة الأمازيغية، وهي مفرد "أقاواون" التي تشير إلى فئة من التجار كثيري التنقل، وقد ارتبط هذا الاسم بعدد من القبائل والعروش التي سكنت أعالي جبال جرجرة، مثل أث عيسى، أن صدقة، أن بطون، أن يثارن، أث منقلات، وأن يسورغ. ويُرجع هذا التفسير التسمية إلى الطابع التجاري والتنقل الدائم الذي ميّز هذه الجماعات.من جهة أخرى، يذهب بعض المؤرخين، كصاحب مفاخر البربر، إلى أن اسم "زواوة" اشتُق من اسم "زواو"، وهو أحد أبناء يحيى بن ضريس، مما يجعل التسمية ذات أصل أنسابي. بينما يربط آخرون هذه التسمية بالإمارات المحلية التي نشأت في شمال الجزائر ينظر: تركي عباس، "الأدوار العسكرية والأمنية لفرقة زواوة خلال العهد العثماني 1519–1830"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 (ت ع ج)، الجزائر، المجلد 4، العدد 1، جانفي 2022، ص 23.

[3] -Thomas Shaw، Op. Cit. p347.

[4]- Ibid.347.

وفي جنوب زمورة، يوجد مقام سيدي مبارك السماني، حيث أقام العثمانيون حامية عسكرية. كما يُلاحظ التقديس الكبير للمرابط سيدي الصُح بن حبيب[1] من طرف قبائل المنطقة[2] مما يعكس الأهمية الدينية والاجتماعية لهذه الشخصيات.

بعد عبور وادي عدوس، المعروف أيضًا بوادي زواوة، الذي يجري بمحاذاة الساحل، نصادف قبيلة أولاد منصور، التي تقيم عند السفوح المباشرة لجبل جرجرة من الجهة الجنوبية الغربية لبلاد الزواوة. وإلى الشرق من أولاد منصور، تنتشر قبيلة بني حمدون إلى جانب عدد من القبائل الصغيرة التي تحظى بحماية قبيلة بني عباس[3].

أما إلى الجنوب من منطقتي أولاد منصور وبني حمدون، فتقع منطقة تُعرف بالذراع الأحمر أو الصخرة الحمراء، وهي موطن بوزي، شيخ قبيلة بني عباس وتُعرف هذه القبيلة بقوتها الكبيرة، التي تضاهي قوة الزواوة، حيث تملك القدرة على حشد ما يقارب ثلاثة آلاف مقاتل من المشاة، إضافة إلى ألف وخمسمائة مقاتل آخر. يسكن أفراد قبيلة بني عباس عددًا كبيرًا من المداشر، ويتخذون من

---

[1]-تميّزت منطقة زوارة، الواقعة ضمن النطاق الثقافي لمنطقة زواوة، بانتشار واسع للزوايا الدينية والتعليمية، التي لعبت أدوارًا متعددة في نشر العلم والدين، فضلاً عن مساهمتها في الاستقرار الاجتماعي. من بين هذه الزوايا، برزت زاوية سيدي أحمد بن دريس في آيت البورة، إلى جانب زوايا أخرى كزاوية سيدي بن علي الشريف، وسيدي موسى التنبدر، وسيدي عبد الرحمان. وقد اتبعت هذه المؤسسات برنامجًا تعليميًا شاملاً، شمل تعليم القراءة والكتابة، وتحفيظ القرآن، ودراسة النحو، والعقيدة، والتصوف، إلى جانب مواد أخرى كالمذهب المالكي، علم الحديث، التفسير، الحساب، الجبر، وعلم العروض، كما أشار إلى ذلك كل من Dumas وFFBER، وهو ما يعكس مستوى علمي وثقافي متقدم لدى هذه المؤسسات ينظر: Mahfoud Kaddache, **L'Algérie durant la période ottomane**, O.P.U., Alger, 1998, pp. 178–179.

وقد أشار أبو القاسم سعد الله إلى أن هذه الزوايا لم تكن مراكز علمية فحسب، بل كانت أيضًا تملك أوقافًا من الأراضي الفلاحية، بالإضافة إلى ما كانت تتلقاه من زكاة السكان، ما وفر لها استقلالًا ماليًا نسبيًا سمح لها بالاستمرار في أداء مهامها التربوية والدينية. ينظر: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، الجزء الثالث، الجزائر: دار الغرب الإسلامي، ص 183–184.

[2]- Thomas Shaw، Op. Cit. p347.348.

[3] -Ibid p348.

مدينتهم "القلعة"[1] مركزًا لحكمهم، حيث يُعرفون بصناعة الأسلحة الجيدة، إلى جانب الحياكة وصناعة البرانس. وعلى الرغم من مهاراتهم هذه، فإنهم لا يُعدّون من القبائل الثرية، ولا يبدو أنهم ينعمون بنفس مستوى الرفاهية الذي تتمتع به قبائل الزواوة، كما أن وضعهم الأمني أقل استقرارًا، إذ يعيشون على الطريق الرئيسي المؤدي إلى قسنطينة، وقد سعت القبيلة في عدّة مناسبات إلى التخلص من هذه الأعباء المالية، غير أن محاولاتهم باءت بالفشل، بل إن كل محاولة كانت تقود إلى فرض ضرائب جديدة تحت ذرائع مختلفة يسوقها المنتصرون عليهم[2].

ب.الزراعة والموارد الطبيعية، التجارة، الأسواق:

أ. الزراعة:

شكّل المناخ والتساقط عاملين أساسيين في قيام النشاط الزراعي ببايلك الشرق، حيث لاحظ الرحالة توماس شو أن الأمطار تكاد تنعدم صيفًا على السواحل، وتغيب تمامًا في المناطق الصحراوية[3]. أما دي فونتين، فقد ركز في وصفه لمناخ قسنطينة على برودة شتائها الشديدة، حيث تسجل درجات تحت الصفر في شهري فيفري ومارس، مع تساقط كثيف للثلوج القادمة بفعل الرياح الغربية، كما أشار إلى نقاء هواء المدينة، معتبرًا أن الأمراض المنتشرة فيها تعود غالبًا لسوء استهلاك الفواكه غير الناضجة[4].

من جهة أخرى، أبدى شو إعجابه بتنوّع الحبوب وجودتها في المنطقة، مرجعًا ذلك إلى خصوبة التربة، وخاصة في مناطق مثل زيدور وتسيلة. وأشار إلى وجود أراضٍ تكتفي بالري الصيفي، مثل

---

[1] –تتربع قلعة بني عباس على موقع رملي حصوي ضمن سلسلة جبال الونوغة، وتحديدًا في القسم الشمالي منها المعروف اليوم بسلسلة البيبان. وقد أُقيمت القلعة في نقطة طبيعية مرتفعة تُعرف بتاقربوست، فوق هضبة وعرة لا يمكن الوصول إليها إلا عبر مسلك واحد فقط. يحدّها شمالًا بني عيدل، وشرقًا وجنوبًا شرقيًا قبيلة أولاد بليل وسهل مجانة، وغربًا منطقتا تازمالت وبني منصور، بينما يحدّها من الجنوب جبل مزيتة وسلسلة جبال الونوغة، ينظر: فؤاد بوزيد، عبد الحميد بودرواز، "المؤسسات الإدارية والتنظيمية بقلعة بني عباس في ظل الوجود العثماني بالجزائر (1510م–1830م) "، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 06، العدد 01، 2022، ص 469.

[2]- Thomas Shaw، Op. Cit. p.348

[3]-Ibid. pp11.12.

[4]- Desfontaines، Op. Cit. p337.

مروج الحامة الواقعة أسفل قسنطينة، حيث تُزرع محاصيل كالذرة الصفراء، والأرز، ونوع مميز من الذرة البيضاء المفضلة لدى السكان كعلف للماشية. أما الشوفان، فلم يكن مزروعًا، فيما يعتمد السكان على الشعير لتغذية الخيول[1]. وأشاد فونير دي برادي هو الآخر بإنتاج قسنطينة، مؤكدًا أن أخصب سنابل الحبوب وأكثرها امتلاء بالحبوب توجد في هذه المقاطعة.[2]

لم تقتصر النشاطات الزراعية في بايلك الشرق على إنتاج الحبوب فحسب، بل تميّز الإقليم أيضًا بزراعة الخضر والبقوليات بشكل ملحوظ، وهو ما يعكس خصوبة الأرض وتنوّع المناخ. ووفقًا لما دوّنه الرحالة "شو"، فإن من بين المزروعات الشائعة نذكر الفول، العدس، والحمص، التي كانت تشكّل جزءًا أساسيًا من الإنتاج الزراعي المحلي[3].

أما الخضر والفواكه، فكانت متوفرة بكثرة وعلى مدار معظم أشهر السنة، وهو ما يدل على انتظام وتواصل عملية الزراعة والقطف والجني. من بين أهم المحاصيل نُشير إلى الجزر، اللفت، والكرنب، والتي كانت تُنتج بجودة عالية وتُستهلك على نطاق واسع. ويُذكر أن نوعًا مميزًا من الجزر الأبيض، يُطلق عليه السكان اسم "اللفت المحفور(Lift) "، كان يحظى بشعبية كبيرة نظرًا لنكهته الخاصة وانتشاره الواسع[4].

ورغم نكهته القوية والمائلة إلى الحدة، يُعد "الباناي الصغير (panais petit) "من الخضروات التي تشهد إقبالًا واسعًا من قبل السكان، نظرًا لفوائده المتعددة وطعمه المميز. ويُزرع إلى جانبه عدد من الخضروات الورقية والجذرية، مثل السبانخ، الخس، الهندباء البرية، الجرجير، ومختلف أنواع الشمندر، حيث تمتد فترة زراعتها من أكتوبر إلى غاية جوان، مما يضمن وفرة وتنوعًا دائمين في الأسواق المحلية[5].أما النباتات العطرية كالكزبرة، الكرفس، والكرنب، فتُعرف بجودتها العالية، وتُزرع خلال شهر جويلية، ليتم قطفها بين شهري فيفري ومارس. ومن المزروعات اللافتة أيضًا البروكلي،

[1]- Thomas Shaw، Op. Cit. p12.
[2] -Jeans Michel Venture De Paradis، **Alger au XVIIIe siècle**، Edité par E. Fagnan، Alger, 1898, p22
[3] - Thomas Shaw، Op. Cit p13.
[4]- Ibid. p14.
[5]-Ibid. p14.

الذي يتميّز بكثافته وتشعّب سيقانه، ويُقطف عادة في نهاية جوان ومع دخول فصل الصيف، يتزايد الطلب على البطيخ العطري والبطيخ المائي، حيث يُفضل السكان النوع العطري لمذاقه المنعش ودوره الفعال في التخفيف من شدة العطش خلال الأيام الحارة[1].

أوضح "شو" أن الزراعة لدى البربر كانت تقوم على أدوات بسيطة وفعالة، حيث يُستخدم زوج من البقر لحرث الأرض، في مشهد يعكس الطابع التقليدي للأنشطة الفلاحية آنذاك. كما لاحظ اعتمادهم على أسلوب قديم في درس القمح، يتمثل في استخدام أرجل الخيول لفصل الحبوب عن القشور، وهي طريقة، وإن كانت أسرع من الطرق الأوروبية، إلا أنها أقل نظافة من حيث النتيجة، وفيما يخص تخزين المحاصيل، تحدث عن نظام المطامير الأرضية التي كانت تُستخدم منذ العصور القديمة لحفظ القمح. وقد ذكر أنه شاهد في مناسبات متكررة ما بين 200 و300 مطمور مجتمعة في مكان واحد، وكان أصغر هذه المطامير قادراً على استيعاب ما يقارب 400 صاع من القمح، ما يعكس درجة عالية من التنظيم والخبرة في تدبير الموارد الغذائية.[2]

كما ذهب حمدان خوجة للقول، بأن القبائل المحلية اعتمدت على طرق تقليدية فعالة في حفظ المحاصيل، حيث لجأت إلى تخزين الحبوب في مطامير مغلقة بعناية، تمنع عنها الهواء والرطوبة، مما ساعد في الحفاظ على جودتها لسنوات طويلة. وذهب في نفس الصدد عثمان خوجة، الذي أشار إلى اعتماد الفلاحين على وسائل بسيطة في الزراعة، تُظهر فهماً عملياً للبيئة والموارد المتاحة، مع التركيز على تخزين الغلال بطرق تضمن استمرارية الغذاء[3].

و لم يختلف هذا التوصيف عمّا ذكره المهدي بوعبدلي، الذي أكدا أن الفلاحين كانوا يستعملون مطامير وجراراً كبيرة لتخزين الحبوب، ويستخدمون الحيوانات في عملية الدرس، بينما تُستغل الرياح لتصفية الحبوب من القش، ويتم الانتفاع بالتبن كوقود أو علف.

---

[1]- Thomas Shaw، Op. Cit. p14.

[2]- Ibid. p14.

[3] –حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تق وتع وتح: د. محمد العربي الزبيري، الجزائر: دار ANEP، 2005، ص 74–75.

ويضيف سعيدوني أن القطاع الزراعي، وخصوصاً في قسنطينة، ظل ضعيفا ومحدودا نتيجة الاعتماد على أدوات بدائية، كالمحراث الخشبي الذي لم يعرف تطوراً حتى أواخر القرن الثامن عشر، بالإضافة إلى استخدام مناحل تقليدية كانت تتسبب في إتلاف جزء من المحصول. كما لجأ الفلاح إلى تسميد الأرض برماد الأعشاب وسماد الحيوانات، وفي أحيان كثيرة كان يضطر لترك الأرض بوراً عامًا كاملاً لتستعيد خصوبتها[1].

ب. الموارد الطبيعية:

أشار شو في رحلته خلال القرن الثامن عشر إلى مشكل نقص المياه في بعض مناطق بايلك الشرق، وعلى رأسها مدينة دلس، رغم موقعها الساحلي. هذا الإشكال يمكن ربطه بطبيعة التضاريس الجبلية الوعرة التي تُميّز الساحل من دلس إلى بونة، لأن هذه التضاريس تجعل من الصعب جمع المياه أو الاستفادة منها بشكل جيد، ما قد يفسر اختلاف الروايات حول وفرتها. ففي حين ذكر ليون الإفريقي، في القرن السادس عشر، أن المياه كانت وفيرة في دلس، جاء وصف شو ليبيّن العكس، مشيراً إلى معاناة السكان من شحّ الموارد المائية وهذا يعني أن الأمر لا يتعلق فقط بالطبيعة، بل أيضًا بكيفية استغلال الإنسان لها، وتطور طرق نقل وتوزيع المياه.[2]

أما في المناطق الداخلية، وتحديداً في قسنطينة، فقد أسهمت طبيعتها الجبلية وتضاريسها المتعرجة، بوجود وادي الرمال، في توفير مورد مائي دائم كان له دور حيوي في النشاط اليومي للسكان، سواء عبر الطواحين أو الصيد أو الاستخدام المترلي، كما أشار إلى ذلك كل من بايسونال وديفونتين[3].

ج. التجارة والأسواق:

[1] –ناصر الدين سعيدوني، والمهدي بوعبدلي، **الجزائر: التاريخ (العهد العثماني)**، ج4، د.ط، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص 58.

[2]- Thomas Shaw، Op. Cit. p326.

[3]- Desfontaines،Op. Cit. pp332_334

لم يتحدث الدكتور شو كثيراً عن النشاط التجاري في قسنطينة خلال رحلته، لكنني سأحاول أن أُثري هذا الجانب اعتماداً على مصدر محلي، خاصة وأن قسنطينة، باعتبارها عاصمة بايلك الشرق، كانت المركز الرئيسي للإدارة والاقتصاد في الإقليم. ورغم قلة الإشارات المباشرة، إلا أن تأثيرها التجاري وصل إلى مدن وموانئ مثل بجاية وعنابة والقالة، التي عرفت نشاطًا تجاريًا متنوعًا.

يقدم الورثيلاني وصفًا شاملاً لمظاهر النشاط الاقتصادي في مدينة قسنطينة، حيث يشير إلى وجود العديد من الأسواق والدكاكين الهامة. تتمتع المدينة بوفرة من الأرزاق والخيرات، مثل اللحم، والسمن، والقمح، والتين، بالإضافة إلى تربية المواشي. كما تتلقى المدينة قوافل تجارية من مختلف الاتجاهات محملة بمجموعة متنوعة من السلع. يُلاحظ أن الأسعار في قسنطينة منخفضة، ورغم تعرضها في بعض الأحيان لموجات غلاء، إلا أن ذلك لا يستمر طويلاً، نظرًا لوفرة مواردها. ومن المؤشرات على ازدهار المدينة ورخاء معيشة سكانها هو المبالغ الكبيرة التي كانت تُرسل إلى الخزينة العامة في العاصمة كضرائب عن إقليم قسنطينة[1].

كانت أسواق بجاية تشهد حركة تجارية نشطة، حيث تجلب القبائل منتجاتها، ما يعزز التبادل التجاري في أجواء منظمة. غير أن هذا الاستقرار كان يترافق مع اضطرابات، مثل حوادث السرقة والشغب التي أشار إليها الرحالة شوفالي دارفي في مذكراته[2].

إلى جانب ذلك، لعبت بجاية دوراً في صناعة الأدوات الزراعية مثل المحاريث والعربات، التي كانت تُصنع من الحديد المستخرج محليًا. كما كانت المدينة تشتري كميات من الزيت والشمع من القبائل، وتُصدرها إلى أوروبا والمشرق العربي[3].

أما عنابة، فكانت مرفأ رئيسي لتصدير الجلود والصوف الممتاز، المعروف باسم "أصواف قسنطينة"، التي كانت تحظى بطلب كبير في الأسواق الخارجية. خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، كانت تُصدر كميات تتراوح بين 10,000 و12,000 قنطار، وقد تصل إلى 16,000

[1] _الحسين الورثيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المصدر السابق، ص686.

[2]- Laurent le Chevalier d'Arvieux, **Mémoires du chevalier d'Arvieux**, Paris, Jean-Baptiste Delespine Libraire, t. IV, 1735, p 23.

[3] -Thomas Shaw، Op. Cit. p329

قنطار في فترات الرخاء. كما احتكرت الإيالة تجارة العسل والشمع، وصدّرتهما سنويًا عبر ميناء عنابة. قنطار، ما يعكس تنوع الصادرات وتعدد أنماط النشاط الاقتصادي في الإيالة آنذاك[1].

إضافة لما سبق وفي أقصى الشرق، برزت القالة[2]كمركز تجاري تابع للشركة الفرنسية الإفريقية، التي نقلت أنشطتها إليها بعد تضرر مركزها الأصلي بسبب المستنقعات[3]. تضم القالة منشأة تجارية محصنة، وكانت تحتكر صيد المرجان وتجارة السلع مثل القمح والصوف، التي كانت تُباع في بونة وطكوش وسكيكدة والقل. مقابل هذه الامتيازات، كانت الشركة تدفع سنويًا للحكومة الجزائرية ولقياد المنطقة نحو ثلاثين ألف أوقية، ويُعتقد أن موقع الباستيون[4] قريب جدا منها مما يعكس الارتباط بين النشاط التجاري والمراكز العسكرية[5].

[1] – ناصر الدين سعيدوني، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص 214–215

[2] –اشتهرت مدينة القالة بحصنها المنيع ومرجانها الثمين، وقد حافظت على هذه السمعة عبر العصور، سواء خلال الفترة الوسيطة حين كانت تُعرف باسم "مرسى الخرز"، أو في العهدين العثماني والاستعماري، حيث ظلت مركزًا بارزًا بفضل موقعها ومواردها الطبيعية، ينظر: كير، وهيبة خليل. "الحصن الفرنسي الباستيون بمدينة القالة خلال الفترة العثمانية – دراسة تاريخية أثرية ".المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 06، العدد 02، 2022، ص 304.

[3] -Thomas Shaw, Op. Cit. p 338.339.

[4] –كلمة "الباستيون" هي مصطلح إسباني يُترجم إلى "القلعة" أو "الحصن"، وتُستخدم للإشارة إلى البناء الدفاعي المحصن، ينظر: كير، وهيبة خليل، نفسه، ص321.

[5]_ Thomas Shaw, Op. Cit. p 342.343.

المبحث الثالث: البنية الاجتماعية والوضعية الدينية للإقليم

يشكّل الجانب الاجتماعي أحد الركائز الأساسية لفهم الحياة العامة في بايلك الشرق خلال العهد العثماني، إذ أن طبيعة التنظيم القبلي والعلاقات الاجتماعية كانت تلعب دورًا محوريًا في استقرار الإقليم أو اضطرابه. فقد شكّلت القبائل الإطار البشري والجغرافي الذي يتحرك ضمنه الحكم العثماني، وتنوّعت هذه القبائل بين مستقرة تمارس الزراعة، وأخرى شبه رحّل تميل إلى الترحال والرعي، وهذا أثر على علاقتهم بالسلطة وكيفية توزيع النفوذ في المنطقة.

كما كان للزوايا والأضرحة دور اجتماعي وروحي مهم في حياة القبائل، إذ كانت تمثل مراكز للتعليم والعبادة، وتلعب دور الوسيط بين الدايات والقبائل خاصة في المناطق الداخلية التي كانت بعيدة عن مركز الحكم ويُعتبر فهم هذا النسيج الاجتماعي مفتاحًا لمعرفة الوضع الحقيقي في المنطقة.

وفي هذا السياق، يمكن الوقوف عند أبرز القبائل التي كانت تنشط في إقليم قسنطينة، وتحديد مواقعها، وطبيعة علاقتها بالسلطة العثمانية، بالإضافة إلى التعريف بأهم الزوايا والأضرحة التي مثّلت رموزًا دينية واجتماعية لدى السكان.

أ_ القبائل:

تُعد قبيلة أولاد عبد النور[1] ، من أكبر القبائل في منطقة الأوراس، وينقسم أفرادها بين السهل والجبل، حيث يقيمون في الخيم. وتستمد هذه القبيلة مكانتها من كثرة عددها، ما جعلها من القبائل

[1] -تعد قبيلة أولاد عبد النور من بقايا قبائل سدويكش البربرية، التي كانت تستوطن مناطق كتامة الواقعة بين قسنطينة وبجاية. وتشكلت القبيلة من عدة بطون منها: سيلين، طرغيان، بني فتنة، بني زعلان، بني مزوان، وغيرها. وقد تميز أفراد هذه القبائل بالحياة القروية في التلال والسهول، في حين فضل البعض الآخر حياة الترحال والسكن في الخيام، وكانوا يمتلكون أعداداً كبيرة من الإبل والبقر.ورغم بربريتهم، فقد تعرّب أفراد القبيلة، شأنهم شأن قبائل أخرى كالجبريين وتلاغمة. كما تكونت من عناصر بشرية متنوعة من مناطق مثل الأوراس، تبسة، بلزمة، فرجيوة، وغيرها، حيث استقرت بها عائلات كبرى مثل بن عاشور وبن عز الدين.وقد كانت هذه القبائل تتجنب الانتساب إلى كتامة، رغم أصولها منها، وذلك بسبب عدائها للفاطميين وانتحالها للمذهب الشيعي، وهو ما جعلها تفضل الانتساب إلى قبائل عربية مثل سليم، رغم عدم صحة ذلك، ينظر: رشيدة شدري معمر. "قبيلة أولاد عبد النور بالجزائر بين العهد العثماني والاحتلال الفرنسي ".مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة – 2-عبد الحميد مهري، المجلد 09، العدد 01 (جوان 2023)، ص 723.

القوية[1] والمؤثرة في الإقليم. وكان على رأسها علي بن قيدون، الذي تولّى قيادتها ومثّل سلطتها وتمتلك مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية المحروثة لا تضم في صفوفها أفراداً[2] من الصبايحية [3].

تُعدّ قبيلة أولاد عبد النور من بين المشيخات الوراثية البارزة التي اضطُرّ بايلك الشرق إلى التعامل معها كقوة حليفة، إلى جانب قبائل أخرى مثل أولاد بوعزيز، أولاد عبدي، مشيخة بن زكري، أولاد بوضياف، أولاد بن قانة، وقصر الطير. وقد تميزت هذه المشيخات، التي انتشرت بكثرة في إقليم الشرق الجزائري، بطابعها العسكري والاجتماعي الخاص، حيث عُرفت بما يُسمى "نبلاء السيف" أو "الأجواد"، كونها فرضت نفسها بالقوة وباتخاذ قرارات مستقلة. مُتحكّمة في تسيير شؤونها الداخلية بنفسها[4].

أما في منطقة باغاي[5]، توجد عدة قبائل، من بينها النمامشة، وهي قبيلة تتصف بالقوة والعدد، لكنها تُعتبر أقل تحضّراً مقارنة بالحنانشة، القبيلة المجاورة لها. لا تُعرف هذه القبيلة بقوتها العسكرية

---

[1]- Thomas Shaw, Op. Cit. p361.

[2] -Ibid p361.

[3] -فرق الصبايحية، التي كانت جزءًا من الهيكل العسكري في العهد العثماني بالجزائر، تعني في اللغة التركية "الخيالة"، وهي معروفة أيضًا بالسبايس .(spahis) وفقًا لتعريف فنتور دي بارادي(Venture de paradis) ، "اتخذت هذه الفرق اسم يولداش الصبايحية، وكانت في مقدمة الوحدات العسكرية التي تم تشكيلها لتنفيذ المهام العسكرية في الجزائر". كانت هذه الفرق تتمتع بعلاقة وثيقة مع الدايات الذين كانوا يقدمون لهم رعاية خاصة. وكان أفراد الصبايحية يُسمح لهم بالانتقال من فرق المشاة للالتحاق بفرق الخيالة، وكان قائدهم العام يُعرف بالباشا أغا الصبايحية، ينظر: محمد الصالح بجاوي، **متعاونون ومجندون جزائريون في الجيش الفرنسي، 1830 -1918** الجزائر، دار القصبة للنشر، 2009، 169.

[4]-Thomas Shaw, Op. Cit. p378 .381.

[5] تقع مدينة باغاي، التي كانت تُعرف في العهد النوميدي، على ضفاف وادي بورغال، والذي أشار إليه المؤرخ بروكوبيوس باسم "أبيقاس .(Abigas) "تتربّع هذه المدينة عند السفوح الشمالية لجبل الأوراس، في منطقة تُعرف اليوم بين السكان المحليين باسم "قصر الكاهنة" أو "قصر باغاي ."وتُظهر آثار هذه المدينة القديمة في موقع يمتد بين مرتفعات جبل الأوراس وبحيرة الطارف، على مسافة تقارب ثمانية كيلومترات. وقد وصفها تولوت سنة 1894 ضمن هذا الامتداد الجغرافي، في حين أشار تروسّي سنة 1991 إلى موقعها الجبلي بدقة.

أما اليوم، فتُعرف هذه المدينة ببلدية "ماسكولة" التابعة لولاية خنشلة، وتفصلها عن مدينة خنشلة الحالية مسافة تقارب 12

فقط، بل تتميز أيضًا بدرجة عالية من التحضر. ويُعزى إليها الفضل في عدد من الانتصارات التي حققها الجزائريون في حروبهم الأخيرة ضد التونسيين، ما يجعلها تحظى بمكانة بارزة بين القبائل.ويفصل بين القبيلتين وادي الحاميز، الذي يبعد عشر فراسخ عن المنطقة،أما في شمال قسنطينة، فتنتشر قبائل كبرى تشتهر بالنشاط الزراعي، من بينها أولاد بوسيف، أولاد مسعود، أولاد علي، شبانة، وبني صالح[1].

أما قواعد جبال أولاد السلطان تمتد على بُعد ثلاث فراسخ تقريبًا إلى الجنوب والجنوب الشرقي من منطقة رأس العيون، حيث تجاورها قبائل أخرى مثل أولاد فاطمة وأولاد الأخضر. وتتميّز هذه الأخيرة بوعورة تضاريسها وطابعها الانعزالي، مما أكسبها شهرة بكونها من القبائل "الشرسة"، على غرار بيئتها الجبلية القاسية[2].

ينتشر نفوذ قبيلة أولاد الأخضر انطلاقًا من وادي بومعزوز مرورًا بمناطق القصور ومدري، وصولًا إلى الجهة الغربية من جبال الأوراس. ومن جهة الجنوب، تحدّها قبيلة أولاد زبان، بينما تقع قرية الوطاية في هذا المحيط، وهي تُعد امتدادًا لقبيلة خليل بن علي، إحدى أكبر القبائل في هذه الناحية، والتي تمتلك أراضي واسعة في المنطقة الجبلية، وتمتد أملاكها جنوبًا إلى مشارف الصحراء[3].

ويُعد وادي القنطرة من أبرز المعالم الطبيعية التي يعرفها سكان المنطقة، حيث يبدأ من سفوح جبال أولاد فاطمة، ويجتاز أراضي قبيلة أولاد الأخضر، مارًا بالجسر المعروف الذي يحمل اسمه. وعند فيضانه، يسقي هذا الوادي مساحات زراعية مهمة في مناطق وادي الزينات بالوطاية، ويصل في نهايته إلى بساتين مدينة بسكرة، مشكّلًا مصدرًا حيويًا للري والاستقرار الزراعي[4].

ب_ الأضرحة والممارسات الدينية:

كيلومترًا، كما ورد في دراسة ديكري سنة 1996، ينظر: سعيدة أويحي، "مدينة باغاي قلعة الدوناتيين"، مجلة التاريخ المتوسطي، المجلد 03، العدد 01، جوان 2021، ص 76.

[1] -Thomas Shaw,Op. Cit. pp378.381

[2] - Ibid p.382.

[3] - Ibid p, 383.

[4]- Ibid p, 384.

تميّز إقليم الشرق الجزائري خلال الفترة العثمانية بكثرة الأضرحة والمقامات التي شكّلت جزءًا مهمًا من البنية الروحية والاجتماعية لسكان في المنطقة. وقد رصد الرحالة شو في رحلته عددًا من هذه الأضرحة التي كانت تُعدّ مراكز إشعاع ديني ومكان لزيارة. من أبرز هذه المعالم ضريح سيدي بوزغري في منطقة بجاية، وضريح بو مرزوق المعروف أيضًا باسم "صوف الجمر" بقسنطينة، إلى جانب ضريح سيدي أحمد بن إدريس في منطقة زواوة، وضريح سيدي امبارك بن السماني في مجانة، وضريح سيدي الصح بن حديد. كما أشار شو إلى وجود جوامع مقرة الواقعة بمنطقة الحضنة، والتي تؤدي دورًا دينيًا مكملاً للأضرحة، بالإضافة إلى ضريحي سيدي لحسن وسيدي ميمون بالأوراس، اللذين يحظيان بمكانة خاصة لدى سكان الجبال[1].

[1]-_ Thomas Shaw,Op. Cit p, p385.

تعكس كثرة هذه الأضرحة في الشرق الجزائري خلال العهد العثماني مدى انتشار وتغلغل التصوف والروحانية، كما تكشف عن العلاقة الوثيقة بين الدين والمجتمع، حيث كانت تلك المقامات يلتف حولها الناس للعبادة، والتبرك، بل وأحيانًا كانت تؤدي أدوارا اجتماعية واقتصادية غير مباشرة، مثل الوساطة في النزاعات وجلب الزائرين أيام المواسم، مما رسخ وعزّز مكانتها في الذاكرة الجماعية لسكان الإقليم.

وبناءً على ما سبق، يمكن استخلاص أهم ملامح الفصل على النحو الآتي:

من خلال هذا الفصل، وخاصة ما ذكره الدكتور شو في رحلته، يمكن أن نفهم أن إقليم بايلك الشرق في زمن العثمانيين كان يتميز بموقع مهم وطبيعة صعبة، مما جعله منطقة نشيطة من حيث النشاط الاقتصادي والديني والعلاقات القبلية.

فالجبال والوديان لم تكن مجرد حواجز طبيعية، بل ساعدت في تنظيم حياة القبائل وتحديد علاقتها مع الدولة العثمانية، وساهمت أيضًا في انتشار الزراعة وتوزيع النفوذ.

أما اقتصاديًا، برزت مدينة بجاية كمركز تجاري مهم، حيث كانت تعرف بأسواقها ومسالك القوافل التي تربط بين المناطق. وقد تمت الإشارة إلى مدينة قسنطينة في هذا السياق من خلال مصدر محلي آخر غير رحلة شو، لما لها من أهمية مماثلة في التجارة الداخلية لكونها محورا أساسيا في خضم هذا الفصل.

أما من الناحية العسكرية، فقد أنشأت الدولة العثمانية حاميات عسكرية لضبط الأمن، لكنها لم تكن كافية للسيطرة على جميع القبائل، خاصة تلك التي كانت تحت حكم مشيخات وراثية حافظت على استقلال نسبي.

أما اجتماعيًا، كان هناك توازن بين الحكم العثماني وبعض القبائل الكبرى القوية، التي لم تكن خاضعة بشكل كامل، بل شاركت في إدارة شؤونها المحلية عبر تبادل المصالح مع البايلك أي ان كل طرف يعرف ماله وما عليه، من خلال تقديم الضرائب والجنود مقابل الحفاظ على استقلالها وامتيازاتها.

لذلك، تبنّت السلطة العثمانية سياسة مرنة في التعامل مع هذه القبائل، تقوم على التوفيق بين الترغيب والردع، كما لجأت إلى تقسيم القبائل الكبيرة وإثارة الخلافات بينها لتقليل نفوذها، خاصة مع المشيخات القوية.

أما من الناحية الدينية، فقد لعبت الزوايا والأضرحة دورًا مهمًا في الحفاظ على الاستقرار، حيث شكّل الأولياء مثل سيدي بوزغري وسيدي امبارك بن السماني وسيدي لحسن رموزًا دينية

واجتماعية تلتف حولها القبائل، وكان للزوايا دور في التهدئة وحل النزاعات، وأحيانًا الوساطة بين السكان والحكم المركزي.

كما كانت القبائل الأخرى، تخضع لنظام ضريبي صارم، يُفرض أحيانًا بالقوة، ما أدى إلى ظهور توترات وتمردات محلية في بعض الفترات.

وبذلك، يتبيّن أن بايلك الشرق لم يكن مجرد منطقة إدارية تابعة، بل كيانًا متداخلا ومتشابكا، مما منحه طابعًا خاصًا ومتميزًا.

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة تم استخلاص عدد من النتائج المهمة يمكن ايجازها فيما يلي:

ـ الموقع الجغرافي لبايلك الشرق شكّل عنصراً مهماً في رسم ملامحه التاريخية، فقد جعلته التضاريس الطبيعية، من جبال ووديان، منطقة استراتيجية تجمع بين النشاط الزراعي والتجاري، وتربط السواحل بالداخل اذ تسهم الوديان في توفير مصادر مياه دائمة أو موسمية لري الأراضي، بينما تتيح السفوح الجبلية الخصبة فرصًا للزراعة المعاشية كما ساعدت في تحصينه من جميع أشكال الغزو والاعتداء.

ـوقد تناولت كتابات الرحالة الأجانب هذا الإقليم بالتركيز على تنوعه الجغرافي وغناه بالموارد، بينما ركزت المصادر العربية على دوره السياسي والاجتماعي في منطقة المغرب الأوسط. كما أثبتت الدراسات أن أصل تسمية بايلك الشرق ارتبط بمدينة قسنطينة، باعتبارها مركزًا رئيسيًا للإدارة والحكم.

ـعند دخول العثمانيين إلى المنطقة، برزت مواقف متباينة؛ إذ عارضت بعض الأسر الدينية وعلى رأسها أسرة سيدي عبد المؤمن الحكم العثماني بدافع الحفاظ على نفوذها المحلي ومكانتها الدينية أو ان صح التعبير أرادت الحفاظ على نفوذها التقليدي، بينما سلكت أسر أخرى، مثل أسرة الفكون، طريق الموالاة والدعم للسلطة العثمانية، حيث وجدت في التحالف مع العثمانيين فرصة لضمان امتيازاتها ضمن الحكم العثماني.

ـوبهذا، انتهج العثمانيون سياسة تقوم على احتواء الأسر المؤثرة، وتثبيت الحكم عبر التحالفات والاعتماد على النخب المحلية لضمان الاستقرار. كما اعتمدوا تنظيماً إدارياً يهدف إلى فرض السيطرة على الإقليم مع ترك هامش من الاستقلالية لبعض القبائل والقيادات المحلية. ما عمل العثمانيون على إذكاء التنافس بين هذه القوى من خلال توزيع الامتيازات بشكل مدروس، بهدف منع تشكل تكتلات قد تهدد سلطتهم، وضمان استمرار التوازن الداخلي لصالحهم.

ـوقد أظهرت الرحلات الأوروبية، خاصة رحلة توماس شاو، أهمية بايلك الشرق في التجارة الإقليمية، ودوره الحيوي في ربط مناطق الداخل بالموانئ الساحلية، كما بينت تفاصيل عن طبيعة الحياة الاقتصادية، والأنشطة الفلاحية، وتنظيم الأسواق، إلى جانب وصف الحاميات والنقاط العسكرية التي أنشأها العثمانيون لتعزيز حضورهم.

_أما على الصعيد الاجتماعي، فقد كشفت الدراسة عن دور القبائل الكبرى في إدارة الشؤون المحلية، حيث لم تكن العلاقة بينها وبين البايلك علاقة تبعية مطلقة، بل علاقة تقوم على تبادل المصالح. وساهمت الزوايا والأضرحة في حفظ التوازن الاجتماعي ولعبت، دوراً في تهدئة الأوضاع وتوفير مظلة روحية، باعتبارها مراكز روحية وعلمية مؤثرة.

_في ضوء ما تقدم، يظهر أن بايلك الشرق لم يكن مجرد منطقة خاضعة، بل كان فضاءً متفاعلًا مع التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في عصره، استطاع أن يحافظ على خصوصياته ضمن إطار الجزائر العثمانية.

توصيات الدراسة:

بناءً على ما خلصت إليه هذه الدراسة من نتائج تُبرز أهمية العناية بالرحلات الأجنبية، ودراستها بشكل نقدي، مع التحقق من محتواها ومقارنتها بالمصادر المحلية، وبناءً على ذلك، يمكن تقديم مجموعة من التوصيات التي نأمل أن تُسهم في تطوير البحث التاريخي وتحسينه، وذلك على النحو الآتي:

_ضرورة توسيع الاهتمام بأدب الرحلات كمصدر تاريخي مهم، خاصة الرحلات الأجنبية إلى الجزائر خلال العهد العثماني، لما تحمله من معطيات ميدانية هامة يمكن الاستفادة منها في الدراسات الاجتماعية، الجغرافية، والعسكرية.

_تشجيع الدراسات المقارنة بين شهادات الرحالة الأجانب والمصادر المحلية (العثمانية أو الجزائرية)، قصد الوصول إلى قراءة أكثر توازناً للواقع التاريخي بعيداً عن النظرة الأحادية أو الاستشراقية.

_التركيز على بايلك الشرق كمجال دراسي مستقل يستحق البحث المعمق، نظراً لتنوعه القبلي والديني، وأهميته في التوازنات الإدارية والعسكرية داخل الإيالة الجزائرية.

_دعم مشاريع بحثية حول التنظيم الإداري والحدودي في الجزائر العثمانية، خاصة أن بعض الرحلات الأجنبية، مثل رحلة شاو، قدّمت أوصافًا دقيقة يمكن مقارنتها بوثائق الخرائط أو الأرشيف العثماني.

ـدعوة الباحثين إلى دراسة الأبعاد الاجتماعية والثقافية (كالقبائل، الأضرحة، العادات...) لفهم أعمق لطبيعة المجتمع المحلي، وتجنب الاقتصار على دراسة الحوادث السياسية فقط.

ـرقمنة ونشر نصوص الرحلات الأجنبية التي لم تُترجم بعد أو لم تُدرس أكاديميًا، حتى تكون في متناول الطلبة والباحثين، وتشكل مادة علمية معاصرة ضمن مكتبات الجامعات الجزائرية.

فهرس الملاحق

رقم الملحق	عنوان الملحق	الصفحة
01	جدول يوضح بايات قسنطينة	99
02	نسخة الطبعة المترجمة الأولى سنة1743	100
03	نسخة الطبعة المترجمة الثالثة سنة1830	101
04	صورة زيتية لدكتور توماس شو	102
05	خريطة بايلك قسنطينة كما وضعها شاو	103
06	خريطة بايلك الشرق الجزائري في العهد العثماني	104

الملاحق

الملحق رقم1: جدول يوضح بايات قسنطينة[1]

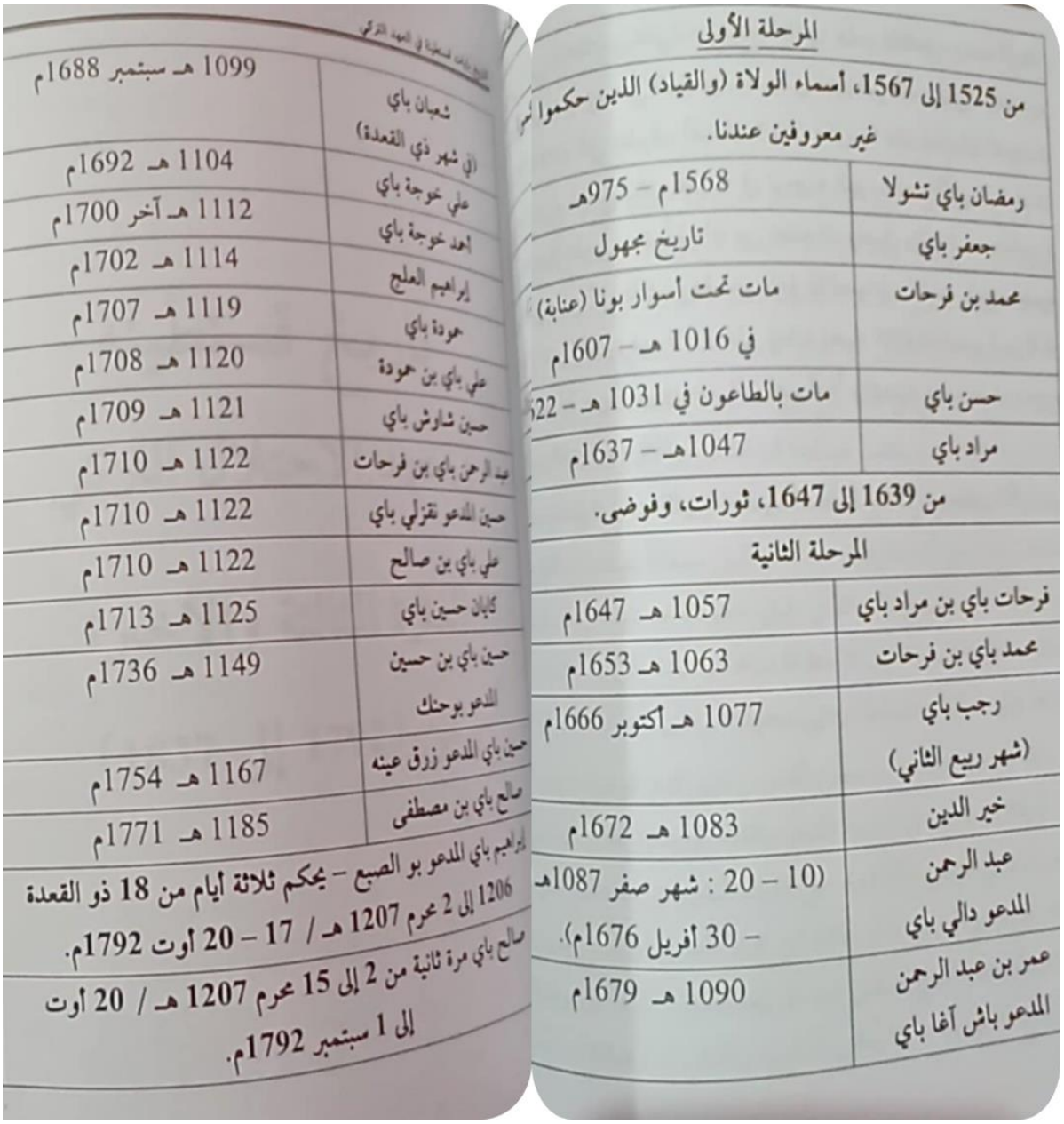

المرحلة الأولى	
من 1525 إلى 1567، أسماء الولاة (والقياد) الذين حكموا	
غير معروفين عندنا.	
رمضان باي تشولا	1568م – 975هـ
جعفر باي	تاريخ مجهول
محمد بن فرحات	مات تحت أسوار بونا (عنابة) في 1016 هـ – 1607م
حسن باي	مات بالطاعون في 1031 هـ – 22
مراد باي	1047هـ – 1637م
من 1639 إلى 1647، ثورات، وفوضى.	
المرحلة الثانية	
فرحات باي بن مراد باي	1057 هـ 1647م
محمد باي بن فرحات	1063 هـ 1653م
رجب باي (شهر ربيع الثاني)	1077 هـ أكتوبر 1666م
خير الدين	1083 هـ 1672م
عبد الرحمن المدعو دالي باي	(10 – 20 : شهر صفر 1087هـ – 30 أفريل 1676م).
عمر بن عبد الرحمن المدعو باش آغا باي	1090 هـ 1679م

شعبان باي (إلى شهر ذي القعدة)	1099 هـ سبتمبر 1688م
علي خوجة باي	1104 هـ 1692م
أحمد خوجة باي	1112 هـ آخر 1700م
إبراهيم العلج	1114 هـ 1702م
حودة باي	1119 هـ 1707م
علي باي بن حودة	1120 هـ 1708م
حسين شاوش باي	1121 هـ 1709م
عبد الرحمن باي بن فرحات	1122 هـ 1710م
حسين المدعو تقزلي باي	1122 هـ 1710م
علي باي بن صالح	1122 هـ 1710م
كليان حسين باي	1125 هـ 1713م
حسين باي بن حسين المدعو بوحنك	1149 هـ 1736م
حسين باي المدعو زرق عينه	1167 هـ 1754م
صالح باي بن مصطفى	1185 هـ 1771م
إبراهيم باي المدعو بو الصبع – يحكم ثلاثة أيام من 18 ذو القعدة 1206 إلى 2 محرم 1207 هـ / 17 – 20 أوت 1792م.	
صالح باي مرة ثانية من 2 إلى 15 محرم 1207 هـ / 20 أوت إلى 1 سبتمبر 1792م.	

[1]_أوجين فايسات، **تاريخ بايات قسنطينة في العهد العثماني (1792–1873)**، تر: صالح نور، تقديم: الشيخ عبد الرحمن شيبان، دار قرطبة، ص 84–85.

الملحق رقم02: نسخة الطبعة الفرنسية ومنها الطباعة الحجرية سنة1743[1]

VOYAGES
DE
MONSR. SHAW, M. D.
DANS PLUSIEURS PROVINCES DE LA
BARBARIE ET DU LEVANT:
CONTENANT
DES OBSERVATIONS GEOGRAPHIQUES, PHYSIQUES, PHILOLOGIQUES ET MELÉES
SUR LES ROYAUMES
D'ALGER ET DE TUNIS,
SUR
LA SYRIE, L'EGYPTE ET L'ARABIE PETRÉE.
AVEC DES CARTES ET DES FIGURES
Traduits de l'Anglois.
TOME PREMIER.
A LA HAYE,
Chez JEAN NEAULME,
M. DCC. XLIII.

IIIII

[1]_ توجد نسخة منها بمكتبة أرشيف ولاية قسنطينة **ينظر:** عبد الحميد عمران، "قبائل شرق الجزائري: قراءة في بعض العادات والذهنيات حسب الدكتور توماس شو (Thomas Shaw) من خلال كتابه رحلة في أيالة الجزائر ".المجلة التاريخية الجزائرية، عدد 5، ديسمبر 2017، ص 57-58.

الملحق رقم03: نسخة الطبعة المترجمة الثالثة سنة1830[1]

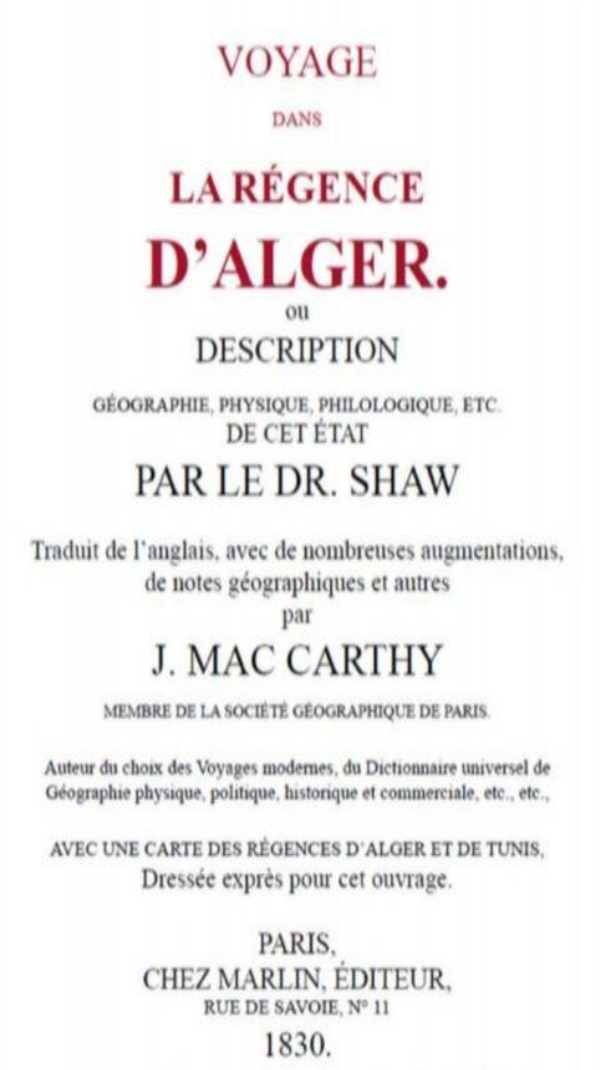

VOYAGE

DANS

LA RÉGENCE

D'ALGER.

ou

DESCRIPTION

GÉOGRAPHIE, PHYSIQUE, PHILOLOGIQUE, ETC.
DE CET ÉTAT

PAR LE DR. SHAW

Traduit de l'anglais, avec de nombreuses augmentations,
de notes géographiques et autres
par

J. MAC CARTHY

MEMBRE DE LA SOCIÉTÉ GÉOGRAPHIQUE DE PARIS.

Auteur du choix des Voyages modernes, du Dictionnaire universel de Géographie physique, politique, historique et commerciale, etc., etc.,

AVEC UNE CARTE DES RÉGENCES D'ALGER ET DE TUNIS,
Dressée exprès pour cet ouvrage.

PARIS,
CHEZ MARLIN, ÉDITEUR,
RUE DE SAVOIE, N° 11
1830.

[1] -DR. SHAW: **VOYAGE DANS LA RÉGENCE D'ALGER** ،Traduit par J. MAC CARTHY, PARIS, 1830.

الملحق رقم04: صورة زيتية لدكتور توماس شو[1]

[1] – سمية صغير، رشيدة شفعاري، **المرجع السابق، ص85.**

الملحق رقم05: خريطة بايلك قسنطينة كما وضعها شاو (تر: جميلة معاشي)[1]

[1] –جميلة معاشي: **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ (16م) الى .13 13هـ (19م)**، المرجع السابق، ص27.

الملحق رقم 06: خريطة بايلك الشرق الجزائري في العهد العثماني

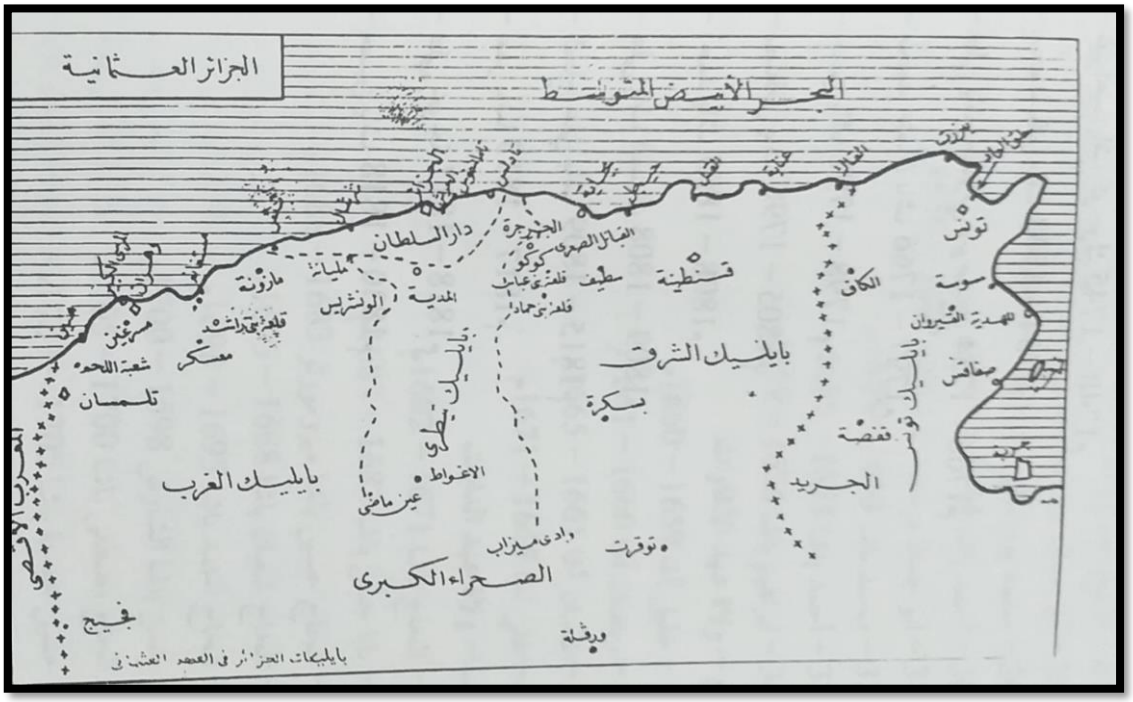

[1]

[1] _يحي بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر الحديثة**، الجزء الثاني، ديوان المطبوعات الجامعية، ص. 132.

قائمة

الببليوغرافيا

1_القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

المصادر:

1_ابن أبي الضياف، أحمد .**إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج1، المكتبة التاريخية، تونس، 1963.

2_ابن أبي الضياف، أحمد، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ترجمة: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999، مج 2، ج 3.

3_ابن أبي دينار، أبو عبد الله **المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس**، تحقيق: محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، 1961.

4_ابن العطار، أحمد بن المبارك، **تاريخ قسنطينة**، تحقيق وتعريب وتقديم: عبد الله حمادي، دار الفائز للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2011.

5_ابن خلدون، عبد الرحمن،**كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر**، دار الفكر، بيروت، 2000.

6_ابن قنفذ (أبو العباس احمد)، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**،تح: الشادلي النيفر وعبد المجيد التربكي، الدار التونسية لنشر،تونس،1968.

7_الإدريسي، محمد الشريف .**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** .عالم الكتب، بيروت، 1989.

8_أوجين فايسات، **تاريخ بايات قسنطينة في العهد العثماني (1792–1873)**، ترجمة: صالح نور، تقديم: الشيخ عبد الرحمن شيبان، دار قرطبة.

9_البكري، أبو عبيد عبد الله، **المسالك والممالك** .تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

10_ الحسن بن الوزان ليون الإفريقي، **وصف إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983.

11_ الحسين الورثيلاني، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار** .دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، 1974.

12_ الحميري، محمد بن عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**،تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984.

13_ الخوجة، حمدان بن عثمان،**المرآة**، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، دار ANEP، الجزائر، 2005.

14_ الزهار، أحمد الشريف .**مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر**، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

15_ شالر، وليام،**مذكرات وليام شالر**، قنصل أمريكا في الجزائر (1816–1824)، ترجمة إسماعيل العربي، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982.

16_ ابن الشماع، أبو عبد الله أحمد .**الأدلة البيئية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية** . تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، ط، الدار العربية للكتاب، 1984.

17_ العنتري، صالح .**فريدة مؤنسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة**، مر وتقديم وتعريب: يحيى بوعزيز، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.

18_ العنتري، محمد الصالح .**تاريخ قسنطينة**، مر وتقديم وتعريب: د. يحيى بوعزيز، دار هومة، 2006.

19_ الفكون، عبد الكريم، **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.

20_ فيـــرو، لوران شارل، **تاريخ بجاية**، ترجمة: صالح بخوش، تقديم: البروفيسور جميل عيساني، دار تلانتيقيت للنشر، بجاية، 2020.

21_ الكاثكارت، جيمس ليندر،**مذكرات أسير الداي وقنصل أمريكا في المغرب**، ترجمة: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

22_ كاربخال، مارمول .**إفريقيا**، ج2، ترجمة: محمد حجي وآخرون، المعارف الجديدة، المغرب، 1989.

23_ مؤلف مجهول،**مفاخر البربر**، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2005.

24_ هابنسرايت،**رحلة العالم الألماني ها بنسرايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس**، ترجمة: ناصر الدين سعيدوني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2013.

المصادر الأجنبية:

1_ Haedo, Diego de, **Topographie et Histoire générale d'Alger**, 2e éd., G.A.L, Alger, 2004.

2_ Léon Galibert. **Histoire de l'Algérie ancienne et moderne**, paris, 1843, P46.

3_ Peyssonnel et Desfontaines, **Relation d'un voyage dans les Régences de Tunis et d'Alger**, Gide, Paris, 1838.

4_ Shaw, Thomas, **Voyage dans la Régence d'Alger**, traduit par J. Mac Carthy, Paris, 1830.

5_Venture de Paradis, Jean-Michel**, Alger au XVIIIe siècle, éd. E. Fagnan,** Alger, 1898.

المراجع:

أ- العربية:

1_ بجاوي، محمد الصالح .**متعاونون ومجندون جزائريون في الجيش الفرنسي 1830 -1918** . الجزائر، دار القصبة للنشر، 2009.

2_ بن نبي، مالك .**شروط النهضة** .ترجمة: عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، ط1، الجزائر، دار الوعي، 2013.

3_ بورايو، عبد الحفيظ .**مدينة قسنطينة في أدب الرحلات** .دار مداد، الجزائر، 2013.

4_ بوعبدلي، المهدي، وسعيدوني، ناصر الدين .**الجزائر: التاريخ (العهد العثماني)**، ج4، د.ط، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.

5_ بوعزيز، يحي .**الموجز في تاريخ الجزائر**، الجزائر الحديثة، الجزء الثاني .ديوان المطبوعات الجامعية.

6_ بومعزة، عبد القادر،**بسكرة في عيون الرحالة الغربيين** .ط1، ج1، دار علي بن زيد للطباعة.

7_ تابليت، علي، **بحوث في تاريخ الجزائر: الفترة العثمانية** .وزارة المجاهدين، الجزائر، 2013.

8_ جندلي، محمد بن إبراهيم،**البربر والعرب وما بينهما من صلة ومداخل في تاريخ المغرب** .دار المعارف، الجزائر، 2012، ج1.

9_جوليان، شارل أندري، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، ترجمة: محمد مزالي والبشير بن سلامة، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2011.

10_ خلاق، حسن، ومباع، عباس،**المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية** . دار العالم للعالمين، ط1، بيروت، 1999.

11_ خياطي، مصطفى، **الطب والأطباء في الجزائر العثمانية** .منشوراتANEP ، الجزائر، 2013.

12_ الزيناتي، محمد .خير الدين بربروس: **أمير البحار العثماني** .دار الكتب العلمية، بيروت، 2008.

13_ سعد الله، أبو القاسم، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

14_ السعدي، محمود إبراهيم، **معالم تاريخ روما القديم** .ط.ب، دار الحصة الشرق، القاهرة، 1997.

15_ سعيدوني، ناصر الدين، **النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830م)** . المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.

16_ السعيدي، فلة موساوي القشاعي، **النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني (1771-1837)**، القافلة للنشر والتوزيع، (د.ط)، الجزائر، 2016.

17_ شعيب، محمد المهدي بن علي، **أم الحواضر في الماضي والحاضر** .مطبعة البعث، قسنطينة، 1980.

18_ الصيد، سليمان، **نفح الأزهار عما في قسنطينة من الأخبار** .المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد، الجزائر، 1984.

19_ عبد الرحيم مصطفى، أحمد، **في أصول التاريخ العثماني** .ط2، دار الشروق، بيروت، 1993.

20_ عميراوي، أحميدة، **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس وأواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**،دط، دار البعث، قسنطينة،2002.

21_ عميراوي، أحميدة، **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث** .دار الهدى، عين مليلة، 2005.

22_ عميراوي، أحميدة،**الجزائر في أدبيات الرحلة والأسرى خلال العهد العثماني** .دار الهدى، الجزائر، 2009.

23_ فيلالي، عبد العزيز، **مجمل تاريخ قسنطينة السياسي والعمراني والثقافي والاقتصادي** .دار الهدى، عين مليلة، 2017.

24_ فيلالي، عبد العزيز، **مدينة قسنطينة: تاريخ – معالم – حضارة** .دار الهدى، عين مليلة، 2007.

25_ فيلالي، كمال، **البايلك نظام حكم في الجزائر العثمانية** .مدير مخبر الدراسات السوسيوتاريخية حول حركات الهجرة، جامعة قسنطينة 2.

26_ كبي، عبد الله.، **الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز** .دار الكتاب العربي، الجزائر.

27_ كمال، غربي، **المساجد والزوايا في قسنطينة الأثرية** .د.ط، تلمسان، 2011.

28_ لطفـــي عيسى، **مدخل إلى دراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر**، دط، سراس للنشر، تونس، 1994.

29_ لعروق محمد الهادي، مدينة **قسنطينة _دراسة في جغرافية العمران،د** م ج، الجزائر،1984 .

30_ المدني، أحمد توفيق، **الجزائر** .د.س.ن، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

31_ المدني، أحمد توفيق، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث** .دار الفكر، بيروت، 1980.

32_ المطوي، محمد العروسي، **إفريقية والمغرب الإسلامي في العصر الوسيط** .دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

33_ معاشي، جميلة .**الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ إلى 13هـ** .د.م.ج، الجزائر، 2015.

34_ وولف، جون،**لجزائر وأوروبا (1500-1830م) .**ترجمة: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

ب-الأجنبية:

1. Belhamissi, Moulay, **Histoire de la marine Algérienne (1516-1830)**, ENAL, 2e éd., Alger, 1986.
2. Benachour-Tebbouche, Nedjma, **Constantine et ses écrivains voyageurs**, Chihab, Alger, 2015.
3. Brahimi, Denis, **Opinions et regards des Européens sur le Maghreb**, SNED, Alger, 1978.
4. Kaddache, Mahfoud, **L'Algérie durant la période ottomane**, OPU, Alger, 1998.
5. Noushi, A., **Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises**, Paris, 1961.

الأطروحات:

1_ سيساوي، أحمد، **البعد البايلكي في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية**، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة، 2013-2014.

2_ قرباش، بلقاسم، **الأسرى الأوربيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)**، أطروحة دكتوراه، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، 2015-2016.

i. الرسائل الجامعية:

3_ أحلام بينور، ومريم بن رمضان، **منهج أبي زكريا يحي الشاوي الجزائري في كتاب "ارتقاء السيادة في علم أصول النحو" -دراسة وصفية تحليلية**، مذكرة ماستر، جامعة غرداية، 2020.

4_ بقار، وردة، **أبو عبد الله الشيعي ودوره في قيام الدولة الفاطمية**، رسالة ليسانس، جامعة الوادي، 2011.

5_ بن خليفة، حدة، وبن ثامر، فتيحة، **سياسة حمودة باشا الداخلية في تونس**، مذكرة ماستر، جامعة غرداية، 2020.

6_ بن موسى، موسى، **الحركة الإصلاحية في وادي سوف نشأتها وتطورها 1900-1939م**، ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، 2005-2006.

7_ ذكار، أحمد، **حاضرة وارجلان وعلاقاتها التجارية بالسودان الغربي 1591-1883م**، ماجستير، جامعة أدرار، 2009-2010.

8_ صغير، سمية، وشفعاري، رشيدة، **المؤسسة العسكرية الجزائرية في القرن 18 من خلال رحلة الدكتور شاو(shaw)**، L'Algérie un siècle avant L'Occupation Française au (18ème siècle، مذكرة ماستر، تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة ابن خلدون تيارت، 2018.

9_ صغير، عبلة، **الحملات الأوروبية على مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني (1189-1246هـ / 1775 -1830م)**، ماستر، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2013-2014.

10_ ميسوم، ميلود، **مدرسة مازونة دراسة تاريخية فنية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان الجزائر، 2002-2003م.

المقالات:

1_ أويحي، سعيدة، "مدينة باغاي قلعة الدوناتيين"، مجلة التاريخ المتوسطي، المجلد 03، العدد 01، جوان 2021.

2_ آيت حيوش، حميد، "نظرة مصادر أوروبية إلى تاريخ الجزائر في العهد العثماني"، مجلة عصور، العدد 18-19، الجزائر، 2012.

3_ بدر الدين، شعباني، "قسنطينة في العهد العثماني: الأصالة والتراث"، مجلة دراسات، المجلد 7، العدد 1، 2020.

4_ بوزيد، فؤاد، وعبدلي، ليلية، "المدن الجزائرية خلال العصر الوسيط: تاريخ وآثار مدينة بجاية أنموذجًا"، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، معهد الآثار – جامعة الجزائر 2، المجلد 9، العدد 1، 2025.

5_ بوطبة، لخضر، "غابات بجاية وجيجل ودورها في دعم الأسطول الجزائري"، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 5، 2017.

6_ بوقاقة، حليمة، وبن مهية، إبراهيم، "الحراك القبلي في المغرب الأوسط ما بين القرنين 3-4هـ: قراءة في نموذج قبيلة كتامة"، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، م07، ع02، 2021.

7_ حاجيات، عبد الحميد، "شخصية عقبة بن نافع الفهري"، بحث مقدم في الملتقى الأول لحركة الفتوح الإسلامية بالمغرب الإسلامي، المنعقد بولاية بسكرة في الفترة ما بين 24-28 أفريل 1985.

8_ خالدي، بلعربي، وجيلالي، زورقي، "جوانب من الحياة الاجتماعية لمدينة الجزائر في كتابات القناصل الفرنسيين خلال القرن 18م: لوجي دي تاسي وسيزار فيليب فاليار نموذجًا"، المجلة التاريخية الجزائرية، مخبر تاريخ الإنسان والعمران والتراث في منطقة حوض الشلف، جامعة الشلف (الجزائر)، المجلد 07، العدد 01، 2023.

9_خلاق، حسن، ومباع، عباس، **المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية**، دار العالم للعالمين، ط1، بيروت، 1999.

10_ دراجي، بلخوص، "الصداق والشوار بالبايلك قسنطينة في القرنين (10-11هـ / 16-17م) من خلال نوازل ابن الفكون"، مجلة أفكار وآفاق، م11، ع1، السنة 2023.

11_ دهماش، صادق، "الوحدة السياسية والعسكرية لدولة الأمير عبد القادر الجزائري"، كلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، جامعة المدية.

12_ سعيدوني، ناصر الدين، "وصف مدينة قسنطينة حسب معلومات جديدة للقبطان هيبوليت"، مجلة الأصالة، العدد 58-59، 1978.

13_ سعيدي، خميس، "الرحلات الأوروبية مصدر لتاريخ الوطن العربي: رحلة شاو أنموذجًا"، المجلة التاريخية الجزائرية، 2021.

14_ عمران عبد الحميد، "قبائل شرق الجزائري: قراءة في بعض العادات والذهنيات حسب الدكتور توماس شو (Thomas Shaw) من خلال كتابه رحلة في أيالة الجزائر ".المجلة التاريخية الجزائرية، عدد 5، ديسمبر 2017.

15_ قرود، امحمد، "الدور الثقافي للشيخ أبو زكريا يحي الشاوي النائلي في الجزائر والمشرق العربي (1074-1096هـ / 1663-1684م)"، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، م7، ع 2، ديسمبر 2016: جامعة زيان عاشور الجلفة.

16_ كركار، عبد القادر، وحنكة، حواء، "وصف الرحالة الأوروبيين للوضع السياسي في الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 15، العدد 1، جانفي 2023.

17_ كشرود، حسان، "بايلك الشرق من خلال شاو ودي فونتين وبايسونال"، مجلة قضايا تاريخية، العدد 6، 2017.

18_ محمد، حشلاف، ويزة آيت عمارة (2023)، "تراجع الرومان واستيلاء الوندال على 495 إفريقيا (429-534م)"، المواقف م 19، ع01، جوان 2023.

19_ محمدي، رزيقة، "العلاقات التونسية المغاربية في عهد حمودة باشا (1782-1814م)"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع20، د.س.ن.

20_ محمود، عامر، "المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية"، مجلة دراسات تاريخية، العددان 117-118، جامعة دمشق، 2012.

21_ ناصر الدين، سعيدوني، "الرحلات الاستكشافية مقاربة فكرية وحضارية الرحلات الأوروبية في الجزائر أنموذجا"، قضايا تاريخية (3) ص64-73، 2016.

22_ وهراني، عبد القادر، وعيادي، حسينة، "أبو المهاجر دينار قبل تولي القيادة: معالم سيرة ذاتية، قراءة موسعة في الروايات العربية"، مجلة البحوث التاريخية، المجلد 8، العدد 2، ديسمبر 2024.

المعاجم:

1_ياقوت الحموي، شهاب الدين، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1995.

المواقع الالكترونية:

1_رضوان، ص :سيدي قموش.. مسجد آل ابن باديس، موقع الشيخ عبد الحميد بن باديس، نُشر بتاريخ 18 أفريل 2020، تم الاطلاع عليه بتاريخ 19فيفري 2025، الساعة 20:45، على الرابط التالي:https://binbadis.net/archives

فهرس

المحتويات

العنوان	رقم الصفحة
البسملة	-
الآية	-
الإهداء	-
شكر وعرفان	-
قائمة المختصرات	-
مقدمة	12–01
الفصل الأول: الإطار الجغرافي والسياق التاريخي لبايلك الشرق	41–14
المبحث الأول: الموقع وأصول التسمية	28–14
المبحث الثاني: السياق التاريخي في الفترة الحديثة	36–29
المبحث الثالث: التنظيم الإداري لبايلك الشرق في العهد العثماني	41–37
الفصل الثاني: قراءة في المضمون العام للرحلة	67–43
المبحث الأول: التعريف بالكاتب ودوافع الرحلة	46–43
المبحث الثاني: مضمون الرحلة	60–47
المبحث الثالث: قراءة نقدية للرحلة	67–61
الفصل الثالث: بايلك الشرق في عيون الدكتور شاو1132 و1145 هـ/1720 و1732 م	91–69
المبحث الأول: المعالم الجغرافية والطبيعية في وصف شاو	74–69
المبحث الثاني: التنظيم العسكري والنشاط الاقتصادي	84–75

المبحث الثالث: البنية الاجتماعية والوضعية الدينية للإقليم	90–85
الخاتمة	95–93
فهرس الملاحق	97
الملاحق	104–99
قائمة الببليوغرافيا	114–106
فهرس المحتويات	117–116
الملخص	120–119

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف ملامح بايلك الشرق الجزائري خلال العهد العثماني من خلال تحليل مضمون **رحلة الدكتور توماس شاو**، التي تُعدّ من أهم الرحلات الأوروبية إلى الجزائر في القرن الثامن عشر. تندرج هذه الرحلة ضمن الرحلات الجغرافية التي تزخر بوصف دقيق للأقاليم الجزائرية، وتشكّل مصدراً فريداً لفهم طبيعة الحياة السياسية، الاجتماعية، والعسكرية في بايلك الشرق. وقد طرحت الدراسة إشكالية أساسية تتعلّق بمدى دقة وموضوعية هذه الرحلة في تصوير الواقع المحلي، ومدى تطابقها مع ما ورد في المصادر التاريخية المحلية والأجنبية.

تمّت دراسة الجوانب الجغرافية، الإدارية، الاقتصادية والاجتماعية كما وصفها شاو، ثم مقارنتها مع الروايات المحلية والمؤلفات التاريخية. وقد أظهرت الدراسة أن بايلك الشرق كان يتمتع بموقع استراتيجي مكّنه من لعب دور حيوي في التجارة الإقليمية، كما اتّسم بتنظيم إداري مرن قائم على تحالفات محلية مدروسة. وقد كشفت الدراسة أيضًا عن أهمية الزوايا والقبائل الكبرى في حفظ التوازن الاجتماعي، وأبرزت كيف كانت العلاقة بين سكان الإقليم والسلطة العثمانية تتراوح بين الموالاة والمعارضة.

كما أكدت الدراسة على أهمية الرحلات الأوروبية كمصادر تاريخية، لا باعتبارها وثائق محايدة، بل نصوصًا محمّلة بتصورات خاصة تستوجب قراءة نقدية. وعليه، فإن رحلة الدكتور شاو، رغم ما تحمله من تصورات خارجية، تبقى وثيقة ثمينة لفهم ملامح العهد العثماني في الجزائر، خاصة عند دراستها في ضوء السياقات المحلية والمصادر المقارنة.

الكلمات المفتاحية:

بايلك الشرق، العهد العثماني، الدكتور شاو، أدب الرحلة، التنظيم الإداري، القبائل، الزوايا، التصورات الأوروبية، التاريخ الاجتماعي، الجزائر في القرن الثامن عشر.

Abstract

This study aims to explore the features of the Eastern Beylik of Algeria during the Ottoman era by analyzing the content of Dr. Thomas Shaw's travel account, which is considered one of the most important European journeys to Algeria in the 18th century. This journey falls within the genre of travel literature, known for its detailed descriptions of Algerian regions, and serves as a unique source for understanding the political, social, and military life in the Eastern Beylik. The study raises a central question regarding the accuracy and objectivity of Shaw's account in portraying local realities and the extent to which it aligns with both local and foreign historical sources.

The study examines the geographical, administrative, economic, and social aspects as described by Shaw and compares them with local narratives and historical writings. Findings reveal that the Eastern Beylik held a strategic position that enabled it to play a vital role in regional trade. It also had a flexible administrative structure based on carefully constructed local alliances. The study also highlights the importance of major tribes and religious institutions (zawāyā) in maintaining social balance and shows that the relationship between the population and Ottoman authority ranged from cooperation to resistance.

Moreover, the study emphasizes the significance of European travel accounts as historical sources—not as neutral documents, but as texts shaped by particular **perceptions** that require critical interpretation. Despite the external perspective it offers, Shaw's travel account remains a valuable source for understanding the Ottoman period in Algeria, especially when studied alongside local contexts and comparative sources.

Keywords:

Eastern Beylik, Ottoman era, Thomas Shaw, travel literature, administrative organization, tribes, zawāyā, European perceptions, social history, 18th-century Algeria.